



جامعة الأديان والمذاهب
كلية التاريخ

رسالة الماجستير
فرع التاريخ الاسلامي

تقصي الدور العلمي للعلماء الأندلسيين في ازدهار الحضارة الاسلامية (الفترة الاموية)

إعداد

علي سعدون حميد الساعدي

الأستاذ المشرف

الدكتور محمد رضا شهيدى پاى

مايو ٢٠٢٣



دانشگاه ادیان و مذاهب
دانشکده تاریخ

پایان نامه کارشناسی ارشد
رشته تاریخ اسلام

نقش علمی دانشمندان آندلس در شکوفایی تمدن اسلامی (دوره امویان)

نگارش

علي سعدون حميد الساعدي

استاد راهنما

دکتر محمد رضا شهیدی پاک

خرداد ۱۴۰۲



﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

صدق الله العظيم

سورة الأعراف

أصالة الأثر و مالكيته

محضر المناقشة

الإهداء

الى الشخص الذي امدني بالعطاء والقوة والشموخ رغم انه تحت الثرى ابي الغالي رحمك الله وطيب مقامك في اعالي الجنان

الى التي امدتني بالحب والحنان والعطاء امي الغالية

الى سندي وعزي وفرحتي ووسامي اخوتي الاعزاء

الى جميع من تلقيت منهم النصح والدعم والارشاد والمساعدة

الى كل الاصدقاء والاقارب اهدي اليكم بحثي المتواضع هذا

الشكر والتقدير

﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ (سورة إبراهيم: الآية ٧)

قبل كل شيء:

أشكر جامعتي جامعة الأديان و المذاهب.

و أشكر كليتي كلية التاريخ و جميع كوادرها و موظفيها المحترمين.

و أشكر استاذي المشرف سماحة الدكتور محمد رضا شهيدى پاى.

و أشكر عائلتي و أسرتي و زوجتي الكريمة.

الباحث علي سعدون الساعدي

المستخلص

من أهم الحضارات الموجودة في التاريخ هي الحضارة الإسلامية التي امتدت سلسلة تاريخها في بداية الإسلام لان هذه الحضارات ترتبط بأصولها و جذورها الى أسس الإسلام و تعاليمها و قيمها فعنيت من البداية بالعلم و المعرفة و أسست حضارة علمية قوية و من خلالها تم إنتشار الحركات و الثورات الصناعية و العلمية و ظهر العلماء البارزين في مجالات متعددة من العمران و الفلك و النجوم و غيرها من العلوم.وقد كانت الاندلس جزءا من تلك الحضارة الاسلامية، اذ حققت الحضارة الإسلامية ازدهارا سريعا في الأندلس، وقد أعان على ذلك عدة عوامل منها الاستقلال السياسي المبكر الذي نالته الأندلس بعد أربعين سنة من الفتح العربي، فكانت الأندلس أسبق من سائر أقطار الدولة الإسلامية في الإحساس بشعور قومي أصيل نتيجة لهذا الاستقلال السياسي، وتكمن أهمية هذا الاستقلال في أنه مكن الأمراء الأمويين في الأندلس من تنظيم حكومتهم وإدارتهم للبلاد في رقعة محدودة لم يتجاوزوها، وعلى نحو راعوا فيه الظروف الخاصة لشعبهم.بناء على ما تقدم في هذه الرسالة نجيب عن هذا السؤال الرئيسي **و هو: ماهو الدور العلمي للعلماء الأندلسيين في ازدهار الحضارة الاسلامية في الفترة الاموية؟** و تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي في مراجعة المصادر التاريخية و من اهم النتائج الحاصلة انه: أولا: من أهم إنجازات الدولة في الأندلس هي إنجازاتها و نشاطاتها في المجال العسكري و الإجتماعي و التجاري و العمراني و الثقافي و الأخلاقي خاصة في فترة حكم عبدالرحمان بن الحكم. و كانت من المدن الموسعة مساحة و إتساعا في سنة ٩٣٥، كما يمكن التطرق الى نخضة العلوم في الأندلس رغم الخلاف الموجود في ديانة علمائهم و خلفياتهم العرقية و التعليم العام الموجود ذلك الوقت. حث أن الناس بدأوا بالقراءة و الكتابة بشكل كامل و الحال أن الأوروبيون لايقدرّون ذلك. بحيث كانت تنافس عاصمة الأندلس (القرطبة) بغداد و هي عاصمة الخلافة العباسية و كذلك والقُسطنطينيّة عاصمة الإمبراطوريّة البيزنطيّة. ثانيا: من أشهر علمائهم يمكن الإشارة الى بعض الشخصيات في علم الفلك كإبراهيم بن يحيى الزرقالي و في علم المثلثات مثل جابر بن أفلح و في علم الصيدلة مثل ابن زهر و في الجراحة أبوالقاسم الزهراوي. ثالثا: تم إنتشار المكتبات المختلفة و اشتهرت و توسعت الكتب في البلدان و المناطق المختلفة في العالم و كثر المؤلفون و التأليف كما انتشرت المراكز التعليمية في أغلب مناطق الأندلس بشكل عام و بعض المدن المهمة كطليطلة و إشبيلية و قرطبة يشكل خاص. رابعا: كانت تجذب الحلقات و المراكمة التعليمية الطلاب المسيحيين و المسلمين بشكل سواء و تم تعليم اللغة العربية للأوروبيين تحصيلًا للعلوم العربية.

الكلمات المفتاحية: العلماء الأندلسيين، الدولة الاموية، الحضارة الإسلامية، الاندلس.

چکیده

سلسله تاریخ تمدن اسلامی در زمان خلفای سه گانه گسترش یافت و پس از آن بنی امیه تمدن هایی را پایه گذاری کردند که ریشه در اصول و ارزش های اسلام داشت و علم و انواع آن تمدنی علمی زاده شد. و همچنین توسعه شهری که مشخصه تمدن اسلامی بود که به خلاقیت شهری و هنرهای زیبای ساختمان اسلامی به ویژه در دوران امویان شهرت داشت. اندلس بخشی از آن تمدن اسلامی بود، زیرا تمدن اسلامی در اندلس به شکوفایی سریع دست یافت و عوامل متعددی از آن حمایت کرد، از جمله استقلال سیاسی اولیه که اندلس چهل سال پس از فتح اعراب به دست آورد، بنابراین اندلس زودتر از سایر کشورهای دیگر بود. دولت اسلامی در احساس احساس ملی در نتیجه این استقلال سیاسی، اهمیت این استقلال در این است که شاهزادگان بنی امیه در اندلس را قادر ساخت تا حکومت خود را سازماندهی کنند و کشور را در محدوده محدودی که از آن فراتر نمی رفتند اداره کنند. و به نحوی که شرایط خاص مردم خود را در نظر گرفته باشد. با توجه به مطالب فوق در این پایان نامه به این سوال اصلی پاسخ می دهیم که: نقش علمی علمای اندلس در شکوفایی تمدن اسلامی در دوره امویان چیست؟ در بررسی منابع تاریخی از رویکرد توصیفی تحلیلی استفاده شده است و از جمله مهمترین نتایج به دست آمده این است که: دولت اموی در اندلس به دلیل شکوفایی نظامی، تجاری، فرهنگی، اخلاقی و شهری به ویژه در دوران عبدالرحمن متمایز بود. ابن الحکم در اندلس در علوم که علمای اندلسی از مذاهب و قومیت های مختلف به آن کمک کردند و نوزایی تعلیم و تربیت عمومی در اندلس رنسانس وجود دارد، از این رو عامه مردم در خواندن و نوشتن در زمانی که اروپاییان سرآمد بودند. اشراف نتوانستند این کار را انجام دهند و همین امر باعث شد که به ویژه پایتخت آن قرطبه با بغداد، پایتخت دولت عباسی، و قسطنطنیه، پایتخت امپراتوری بیزانس، و از برجسته ترین چیزهایی که در آن با دانشمندان خود رقابت می کرد، رقابت کند. عبارت بودند از: ابراهیم بن یحیی الزرقلی در نجوم، جابر بن افلاح در مثلثات، ابوالقاسم الزهراوی در جراحی، ابن زهر در داروسازی و دیگران. کتابخانه ها نیز گسترش یافت و شهرت یافت، کتاب در سراسر کشور دست به دست شد و مؤلفان و مؤلفان فراوان شدند، خلیفه اموی الحکم دوم گردآورنده کتاب بود و به دمشق، قاهره، حلب، بغداد و شهرهای دیگر فرستادگانی می فرستاد. برای خرید کتاب با قیمت های بالا تا زمانی که توانست حدود ۴۰۰ هزار جلد برای کتابخانه خود جمع آوری کند و قسمت ها گسترش یافت. تحصیل در اکثر مساجد اندلس به ویژه در شهرهای بزرگ مانند کوردوبا، تولدو و سویا و محافل آموزشی در تعدادی از مساجد، دانشجویان مسلمان و مسیحی به طور یکسان جذب شدند و اروپاییان در زمان امویان برای کسب علوم عربی، زبان عربی را آموختند.

کلیدواژه ها: علمای اندلس، دولت اموی، تمدن اسلامی، اندلس.

الفهرس

١٩	الفصل الأول: الكليات والمفاهيم
٢٠	١-١. الكليات
٢٠	١-١-١. بيان المسألة
٢١	١-١-٢. الهدف
٢١	١-١-٣. أسئلة البحث
٢١	١-٣-١-١. السؤال الرئيسي
٢١	١-٣-١-٢. الأسئلة الفرعية
٢١	١-٤-١. فرضيات البحث
٢١	١-٤-١-١. الفرضية الأصلية
٢١	١-٤-١-٢. الفرضيات الفرعية
٢١	١-٥-١. أهمية و ضرورة التحقيق
٢٢	١-٦-١. الثمرة
٢٣	٢-١. المفاهيم
٢٣	١-٢-١. الحضارة
٢٣	١-٢-١-١. الحضارة في اللغة
٢٣	١-٢-١-٢. اصطلاح الحضارة
٢٣	١-٢-١-٣. الحضارة وصفاتها
٢٣	١-٢-١-٤. شروط الحضارة
٢٤	١-٢-١-٥. نظريات بدء الحضارة
٢٤	١-٢-١-٦. سقوط الحضارة وأسبابها
٢٤	١-٢-١-٧. الحضارات التاريخية المهمة
٢٥	٢-٢-١. مفهوم الحضارة الإسلامية
٢٥	١-٢-٢-١. الحضارة الإسلامية لغة
٢٥	١-٢-٢-٢. اصطلاح حضارة الاسلام
٢٦	٣-٢-١. تعريف الدولة الاموية
٢٨	١-٣-٢-١. المدخل

- ١-٢-٣-٢. نبذة من تاريخ الأندلس..... ٣٠
- ١-٢-٣-٣. التسمية..... ٣٢
- ١-٢-٣-٣-١. نظرية الأصل الوندالي..... ٣٢
- ١-٢-٣-٣-٢. نظرية الأصل القوطي الغربي..... ٣٢
- ١-٢-٣-٣-٣. نظرية الأصل الأطلنطي..... ٣٣
- ١-٢-٣-٤. الفتح الإسلامي..... ٣٤
- ١-٢-٣-٥. الإمارة الأموية (إمارة قرطبة)..... ٣٦
- ١-٢-٣-٦. الخلافة الأموية (خلافة قرطبة)..... ٣٩
- ١-٢-٣-٧. الوضعية السياسية بالأندلس خلال القرن الخامس الهجري..... ٤١
- ١-٢-٤. الحضارة الإسلامية وخصائصها..... ٤٤
- ١-٢-٤-١. الحضارة الإسلامية ومنجزاتها..... ٤٤
- ١-٢-٥. علماء المسلمين في الأندلس..... ٤٥
- الفصل الثاني: الدور العلمي للعلماء الأندلسيين في ازدهار الحضارة الإسلامية في الفترة الأموية في مجال الاجتماع..... ٤٩
- ١-٢. مقدمة..... ٥٠
- ٢-٢. العلماء الأندلسيين في ازدهار الحضارة الإسلامية في الفترة الأموية في مجال الاجتماع .. ERROR! BOOKMARK
- NOT DEFINED.
- ١-٢-٢. المظاهر الاجتماعية..... ٥٠
- ١-٢-٢-١. الدين..... ٥٠
- ١-٢-٢-٢. عناصر المجتمع..... ٥٢
- ١-٢-٢-٣. الأدب..... ٥٤
- ١-٢-٢-٤. أهل البيت عليهم السلام في الأدب العربي في الأندلس..... ٥٥
- ١-٢-٢-٥. العمارة..... ٥٦
- ١-٢-٢-٢. الابداع في العمارة والبناء لعلماء الأندلس..... ٥٨
- ١-٢-٣. ابداع علماء الأندلس في مجال الفقه والأدبي..... ٦٠
- ١-٢-٣-١. الابداع الفقهي..... ٦١
- ١-٢-٣-٢. الإبداع الأدبي..... ٦٣
- ١-٢-٣-٣. الإبداع الطبي..... ٦٥

٦٧	٢-٣-٤. الإبداع التعليمي
٧١	الفصل الثالث: الدور العلمي للعلماء الاندلسيين في ازدهار الحضارة الاسلامية في الفترة الاموية في مجال الثقافة.....
٧٢	٣-١. نشر العلم والكتب
٧٣	٣-٢. أساليب نشر العلم
٧٤	٣-٣. الإخلاص في نشر العلم
٧٥	٣-٤. رحلات العلم و بذله
٧٥	٣-٥. انتقال الكتب
٧٦	٣-٦. اصطحاب الكتاب
٧٧	٣-٧. الحياة العلمية الحققة
٧٩	٣-٩. مستوى التعليم بالأندلس
٨٠	٣-١٠. المكتبات الخاصة
٨٦	الفصل الرابع: الدور العلمي للعلماء الاندلسيين في ازدهار الحضارة الاسلامية في الفترة الاموية في مجال الدين و المذهب
٩١	٤-١. المسجد الجامع بقرطبة
٩٤	٤-٢. مذهب الأوزاعي
٩٨	٤-٣. الأسباب السياسية
١٠١	٤-٤. الأسباب الذاتية
١٠٧	المصادر والمراجع

الفصل الأول: الكليات والمفاهيم



١-١. الكليات

١-١-١. بيان المسألة

امتدّت سلسلة تاريخ الحضارة الإسلامية في عهد الخلفاء الثلاثة، فوسّعوا رقعة البلاد الإسلامية ونشروا فيها القيم والمبادئ التي هي صلب الحضارة الإسلامية، واستمرّوا على طريق العدل والتشريع الحكيم.

وجاء بعد ذلك الأمويون الذين أقاموا حضاراتٍ تمتدّ بجذورها إلى مبادئ الإسلام وقيمه، فاعتنوا بالعلم وأسسوا حضارة علمية لا تُضاهى، حيث انتشرت الحركات العلمية والصناعية، التي ظهر فيها العلم بأبهى حُلّة وبرز فيه العلماء في شتى فُنون العلم وصنوفه المختلفة، فكانت حضارةً علميةً تليدة، وكذلك الحال في التطوّر العمراني الذي تميّزت به الحضارة الإسلامية، التي اشتهرت بالإبداع العمراني وفنون البناء الإسلامي الراقي، خصوصاً في عهد الأمويين.

وقد كانت الأندلس جزءاً من تلك الحضارة الإسلامية، إذ حققت الحضارة الإسلامية ازدهاراً سريعاً في الأندلس، وقد أعان على ذلك عدة عوامل منها الاستقلال السياسي المبكر الذي نالته الأندلس بعد أربعين سنة من الفتح العربي، فكانت الأندلس أسبق من سائر أقطار الدولة الإسلامية في الإحساس بشعور قومي أصيل نتيجة لهذا الاستقلال السياسي، وتكمن أهمية هذا الاستقلال في أنه مكن الأمراء الأمويين في الأندلس من تنظيم حكومتهم وإدارتهم للبلاد في رقعة محدودة لم يتجاوزوها، وعلى نحو راعوا فيه الظروف الخاصة لشعبهم.

تميّزت الدولة الأموية في الأندلس بازدهارها العسكري والتجاري والثقافي والأخلاقي والعمراني ملحوظ خاصة في عهد عبد الرحمن بن الحكم، فكانت أكثر مدن العالم اتساعاً في عام ٩٣٥م، كما شهدت الدولة الأموية في الأندلس نهضة في العلوم التي ساهم فيها علماء الأندلس على اختلاف دياناتهم وخلفياتهم العرقية، ونهضة التعليم العام، فأجاد عامة الشعب القراءة والكتابة في الوقت الذي كان فيه نبلاء القوم الأوروبيون لا يستطيعون ذلك، مما جعلها، خاصة عاصمته قرطبة تنافس بغداد عاصمة الدولة العباسية والقُسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، وكان من أبرز ما نافست فيه علماءها مثل: إبراهيم بن يحيى الزرقالي في علم الفلك، وجابر بن أفلح في علم المثلثات، وأبو القاسم الزهراوي في الجراحة، وابن زهر في الصيدلة، وغيرهم.

كما انتشرت المكتبات واشتهرت، وراجت الكتب في جميع أنحاء البلاد وكثر التأليف والمؤلفون، وكان الخليفة الأموي الحكم الثاني جَماعاً للكتب، وكان يرسل المبعوثين إلى دمشق والقاهرة وحلب وبغداد والمدن الأخرى لشراء الكتب بأثمان عالية حتى استطاع أن يجمع نحو ٤٠٠ ألف مجلد لمكتبته، كما انتشرت الحلقات التعليمية في أغلب جوامع الأندلس وبشكل خاص في المدن الرئيسية كقرطبة وطليطلة وإشبيلية، وكانت الحلقات التعليمية في عدد من الجوامع تجذب الطلاب المسلمين والمسيحيين على السواء، كما انتشر تعلّم الأوروبيين للغة العربية في عهد الأمويين لتحصيل العلوم العربية.

١-١-٢. الهدف

تهدف هذه الدراسة الى:

١. بيان مكانة العلماء في الدولة الاموية

٢. دراسة تقصي الدور العلمي للعلماء الاندلسيين في ازدهار الحضارة الاسلامية

١-١-٣. أسئلة البحث

١-٣-١. السؤال الرئيسي

ما هو الدور العلمي للعلماء الاندلسيين في ازدهار الحضارة الاسلامية في الفترة الاموية ؟

١-٣-٢. الأسئلة الفرعية

ما هو الدور العلمي للعلماء الاندلسيين في ازدهار الحضارة الاسلامية في الفترة الاموية في مجال الإجتماع ؟

ما هو الدور العلمي للعلماء الاندلسيين في ازدهار الحضارة الاسلامية في الفترة الاموية في مجال الثقافة ؟

ما هو الدور العلمي للعلماء الاندلسيين في ازدهار الحضارة الاسلامية في الفترة الاموية في مجال الدين و المذهب؟

١-١-٤. فرضيات البحث

١-٤-١. الفرضية الأصلية

يشمل الدور العلمي للعلماء الاندلسيين في ازدهار الحضارة الاسلامية في الفترة الاموية في مجالات مختلفة منها الاجتماع و الثقافة و الدين و المذهب.

١-٤-٢. الفرضيات الفرعية

للعلماء الاندلسيين دور مهم و بارز في ازدهار الحضارة الاسلامية في الفترة الاموية في مجال الإجتماع

للعلماء الاندلسيين دور مهم و بارز في ازدهار الحضارة الاسلامية في الفترة الاموية في مجال الثقافة

للعلماء الاندلسيين دور مهم و بارز في ازدهار الحضارة الاسلامية في الفترة الاموية في مجال الدين و المذهب

١-١-٥. أهمية و ضرورة التحقيق

يتم بيان أهمية البحث من خلال بيان النقاط الآتية:

الاطلاع على مكانة العلماء في العهد الاموي

ضرورة الاطلاع على مدى تأثير العلماء في حضارة الإسلام



١-١-٦. الثمرة

التعرف على ازدهار الثقافة وحضارة الإسلام في المجالات المختلفة ودور العلماء في هذا الامر
توضيح حضارة الإسلام في بلاد الأندلس وعوامل ازدهار.

١-١-٧. الدراسات السابقة

توجد لعنوان دراستنا بعض الدراسات السابقة و فيما يلي إشارة الى بعضها:

- مجدي خليل محمد البردويل (الابداع الحضاري للمسلمين في الأندلس في عهدي الامارة والخلافة) رسالة ماجستير في التاريخ، كلية الآداب الجامعة الإسلامية ، غزة ، ٢٠١٤ وقد تناولت هذه الدراسة عن مبادئ الاسلام وتعاليمه واثار العلم في التطور الحضاري في الأندلس.

- أبراهيم فتحي الصوفي (العدل عند حكام الأندلس في عهدي الامارة والخلافة) ، رسالة ماجستير في قسم الآثار والتاريخ، كلية الاداب ، الجامعة الإسلامية ، ٢٠١٤م، عرضت الدراسة دوافع العدل عند حكام الأندلس؛ فمن هذه الدوافع الالتزام بأوامر الله سبحانه وتعالى الداعية للعدل والناهية عن الظلم واتباعا لسنة النبي محمد(ص) الداعية الى العدل الناهية عن الظلم، وحرص حكام الأندلس على العدل خوفا من الظلم لان فيه هلاك الامم.

- محمود محمد ابو الندى (الدور الجهادي للعلماء في الأندلس)، رسالة ماجستير في قسم التاريخ ، كلية الاداب ، الجامعة الإسلامية ، ٢٠٠٦م، تناولت هذه الدراسة جهود علماء الأندلس من اجل توحيدها ودورهم في تحريض الحكام على الجهاد، وبين هذا البحث اهم المناسبات التاريخية التي استغلها العلماء لتحريض المجتمع على الجهاد. كما بينو دورهم في نشر الوعي العسكري.

- الزلال ابراهيم عثمان الحسن : الحياة الاجتماعية في الأندلس في العصر الأموي، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة شندي ، السودان، ٢٠١٨م، هدفت هذه الدراسة البحث في النواحي الاجتماعية والرغبة في البحث في التاريخ الاسلامي.

- الدكتور محمدرضا شهيدى باك، مطالعه تحليلى فرهنگ و تمدن اسلامى در غرب اسلامى (كتاب باللغة الفارسية)، قم المقدسة، نشر علويون، ١٣٩٥ش.

- الدكتور محمدرضا شهيدى باك، تاريخ تحليلى آندلس (كتاب باللغة الفارسية)، قم المقدسة، مركز بين المللى ترجمه و نشر المصطفى، ١٣٨٩ ش.

- الدكتور محمدرضا شهيدى باك، تاريخ تحليلى مغرب (كتاب باللغة الفارسية)، قم المقدسة، مركز بين المللى ترجمه و نشر المصطفى، ١٣٨٩ ش.

- عبير فيصل عيسى، دور المسلمين في از هار العلوم في الأندلس، رسالة الماجستير.

١-٢. المفاهيم

لا توجد بلاد ليس فيها أثر لحضارة من الحضارات، وهذا منتشر في جميع انحاء الأرض، فهناك الحضارات الفرعونية، والإغريقية، والرومانية، والإسلامية وآثارها، في العالم الاسلامي و خارجه، و يختلف في معنى الحضارة، وكيف تنشأ ومن تتكون وعوامل انبهارها.^١

١-٢-١. الحضارة

١-٢-١-١. الحضارة في اللغة

من الفعل حضر، وهي في مقابل البداوة، الذين يعيشون التّقل، بخلاف الحضريّة حيث ترتزق على الزّراعة، ويسكنون في المدن، فالحضارة هي الاستقرار.^٢

١-٢-١-٢. اصطلاح الحضارة

مجموعة المظاهر الاجتماعيّة والفنيّة والعلميّة في مجتمع. وتعتمد على بعضها، فالحضارات مكملّة لبعضها، وجميعها تُساهم في البناء الإنساني الحضاري، فالحضارة القديمة تضع اسس الحضارة، وحضارة الإسلام امتداد لهذا التقدم الحضاري، ثم جاءت اوربا وطوّرت الحضارة.^٣

١-٢-١-٣. الحضارة وصفاتها

تتمثّل هذه الصفات فيما يلي:^٤

ان الامم تاخذ بعضها من بعض.

تتغيّر الحضارة بشكل مفاجئ وتدرجي.

الحضارة إنسانيّة دون الكائنات الاخرى، وهذا يجمع الحضارات مهما اختلفت.

الحضارة في عقل الإنسان والذي يجعله يعلم يربط الحاضر بالماضي.

لا يستطيع الإنسان ان يبتعد من المظاهر الحضارية التي يحتكّ بها.

١-٢-١-٤. شروط الحضارة

أهمّ الشروط التي تؤدي إلى نشوء الحضارة:

١. تاج الدين، تعريف الحضارة وأسسها في الإسلام: ص ١٢٣

٢. ابن منظور، لسان العرب، ج ٥، ص ٢١٢

٣. تاج الدين، تعريف الحضارة وأسسها في الإسلام: ص ٤٥

٤. تاج الدين، الحضارة: ص ٢٤٥



الكتابة: ليحفظ ما يبدعه، فينقل وتجاربه إلى الأجيال القادمة.

التعاون: بينه وبين الآخرين في نفس المنطقة، لتأمين الامور الأساسية للحياة من الاخطار.

الاستقرار: وهو عدم الانتقال، و من عوامل تطوّر الحضارات.

١-٢-١-٥. نظريات بدء الحضارة

من أهمّ:

فيجر: هناك ثلاثة مراحل للحضارة في تطورها،

- البطولة

- النَّاس

- الأهلّة

وهي مشتركة في نشوئها وتطورها.

ابن خلدون: الحضارات في بدايتها تعيش البداوة، ثم توسعت فصارت مزدهرة، ثم تزول الحضارة وتنتقل إلى الآخرين.

توينبي: ان تكون الحضارة يعود لاستجابة البشر للطبيعة.

شبينجلير: هي كالكائنات الحيّة فتمرّ بالمراحل من الطفولة، الى شباب، الى النضوج، الى شيخوخة.

١-٢-١-٦. سقوط الحضارة وأسبابها

أسباب سقوط الحضارة هي:

أرنولد توينبي: أنّ سقوط الحضارات لانحلالها، ومن خلال تفرق المجتمع وبروليتارية المجتمع.

شبينجلير: الحضارات تموت بعد التتطور في المجالات كافة، تعود لما قبل تطورها، وهناك امران لسقوط الحضارة:

وجود حضارة أكبر من هذه الحضارة

أنّ الحضارة وصلت إلى مراحلها النهائية.

١-٢-١-٧. الحضارات التاريخية المهمة

نذكر الحضارات عبر التاريخ و من أهمّها:

الإنكا: في أمريكا الجنوبية أسّسها الهنود الحمر، ووصلت الى الأرجنتين.

بلاد الرّافدين: من الشرق القديم، وما يميزها أتحارها الكبيرة دجلة و الفرات، ولهما أثر الاستقرار ، و ضمّت ممالك

عديدة كبابل وسّومر واشور، وهناك ملوك مميزون مثل آشور بانيبال، و حمورابي وتشريعاته، وسرجون الأكدي.

الصين: وكانت في نهر يانغتزي ولنهر الأصفر، وايضا في منطقة البحر الأصفر.

مصر القديمة: على جانبي نهر النيل وهي أهم الحضارات وأقدمها، بدايتها كانت قبل ستة آلاف سنة، فوَّخِدَ مينا مصر، وللمصريين إنجازاتٌ مهمة فبنوا المعابد والاهرامات، وطوروا الري والزراعة، والعلم، والفن. وادي السند: نشأت قبل ٥٠٠٠ سنة، وتكونت في طرفي نهر السند، وتعرف ب هارابا نسبةً إلى مدينة هارابا في الباكستان.

الإسلامية: ولها أسسٌ أهمها التوحيد وله دورٌ في المجتمع، والعلم و العدل والعمل.^١

١-٢-٢-١. مفهوم الحضارة الإسلامية

١-٢-٢-١. الحضارة الإسلامية لغة

كلمة الحضارة في اللغة العربية مشتقة من فعل حضر الذي هو نقيض غاب، ومنه المغيب والغيبة، ومشتقات هذه المادة هي: حضر، يحضر حضورا، حضارة. ويقال بحضرة الماء أي عنده، وحضرت الصلاة، والحضرة خلاف البادية، والحاضر المقيم في المدن والقرى، والبادي المقيم بالبادية، والحضرة والحضر والحاضرة خلاف البادية، وهي المدن و القرى، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار. وقد استعملت الحضارة في مقابل البداوة في قول الشاعر القطامي التغلبي: فَمَنْ تَكُنِ الحَضَارَةُ أعجبته فأَيُّ رجالٍ بَادِيَةٍ تَرَانَا وهذه الكلمة civilisation في اللغات الأوروبية، مشتقة من اللاتينية.

١-٢-٢-١. اصطلاح حضارة الاسلام

وهي من نتاج اندماج الشُّعوب التي دخلت الإسلام، وهي نوعان:-

- حضارة الخلق الإبداع، والاسلام مصدرها.

- حضارة البعث والإحياء حيث حسن الاسلام الفكر الانساني من خلال تجارب الامم السابقة.^٢

وهي الوحيدة التي قامت على دينٍ واحدٍ، وتوجهت للأديان الاخرى، وهي جزءٌ من حضاراتٍ متعددة، فانها استفادت

من الخبرات الانسانية في المجالات كافة.^٣

بدايتها في عهد رسول الله (ص) (١ - ١١هـ)، ثم في عهد الخلفاء (١١ - ٤٠هـ)، ثم جاء الأمويون (٤١ - ١٣٢هـ)

ثم العباسيون (١٣٢ - ٦٥٦هـ)، والعهد المملوكي (٦٤٨ - ٩٢٢هـ)، فالعثماني.^٤

١. تاج الدين، تعريف الحضارة وأسسها في الإسلام: ص ٤٥٦

٢. التوجيهي، العالم الإسلامي في عصر العولمة: ص ١٣٧

٣. السباعي، روائع الحضارة الإسلامية، : ص ٧٤

٤. الإسلامي، التاريخ في الجغرافيا : ص ٥٦



وأسس الحضارة الإسلامية هي:^١

التوحيد: فالعبادة لله لا شريك له.

العدل: اهتم الإسلام بالعدل وهذا ما جاء في نصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية.

العلم: أعاد الإسلام ترتيب المفاهيم في العقل الإنساني، وحثّ الناس على طلب العلم، لما له من أثرٍ في بناء وازدهار الحضارة الإسلامية.

الأخلاق الفاضلة: للإسلام دستورٌ شاملٌ في التعامل وتربية الأفراد، وهذا الدستور هو القرآن الكريم ففيه نجد كل ما يخص تربية الأفراد والجماعات في جميع المجالات.

العمل: لأنّ العمل هو الذي يبني الحضارات فقد حثّ الإسلام على العمل، ولهذا فإنّ الدين الإسلامي هو دين عملي.

١-٢-٣. تعريف الدولة الأموية

الخلافة الأموية هي ثاني سلالة من الخلافات الأربعة الكبرى التي تأسست بعد وفاة محمد. حكمت الخلافة الأسرة الأموية. (العربية: لَأُمَوِيُّونَ، أو بُنُو أُمَيَّةَ، أبناء أمية). وهي الخلافة الأموية التي قامت بعد عهد الخلفاء الراشدين على يد معاوية بن أبي سفيان في عام (٤١ هـ وحتى ١٣٢ هـ) ومن (٦٦١ م وحتى ٧٥٠ م)، تولى الخلافة فيها ١٤ خليفة بداية من معاوية وحتى آخرهم مروان بن محمد الجعدي، وكانت دمشق هي العاصمة المركزية للدولة الأموية. كان عثمان بن عفان (حكم ٦٤٤-٦٥٦)، ثالث الخلفاء الراشدين، أحد أفراد العشيرة. أسست الأسرة حكماً وراثياً مع معاوية بن أبي سفيان، حاكم سوريا الكبرى، الذي أصبح الخليفة السادس بعد نهاية الفتنة الأولى عام ٦٦١. بعد وفاة معاوية عام ٦٨٠، أدت الخلافات على الخلافة إلى الفتنة الثانية، وسقطت السلطة في النهاية في يد مروان بن الحكم من فرع آخر من العشيرة. وظلت سوريا الكبرى بعد ذلك قاعدة القوة الرئيسية للأمويين، وعاصمتهم دمشق.^٢

واصل الأمويون الفتوحات الإسلامية، وضمت بلاد ما وراء النهر، السند، المغرب العربي وشبه جزيرة أيبيريا (الأندلس) تحت الحكم الإسلامي القاعدة. في أقصى حد، غطت الخلافة الأموية ١١,٠٠٠,٠٠٠ كم^٢ (٤,٣٠٠,٠٠٠ ميل^٢)، مما يجعلها واحدة من أكبر الإمبراطوريات في التاريخ من حيث المساحة. تمت الإطاحة بالسلالة في معظم العالم الإسلامي في نهاية المطاف على يد تمرد قادة العباسيين في ٧٥٠. وقد أسس الناجون من السلالة أنفسهم في قرطبة التي أصبحت، في شكل إمارة ثم خلافة، مركزاً عالمياً للعلوم والطب والفلسفة والاختراع خلال الحضارة الإسلامية.

١. تاج الدين، تعريف الحضارة وأسسها في الإسلام: ص ٦٥

٢. ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥، ص ٢٠٣

حكمت الخلافة الأموية عدداً كبيراً من السكان متعددي الأعراق والثقافات. المسيحيون، الذين ما زالوا يشكلون غالبية سكان الخلافة، وُتِّمِحَ لليهود بممارسة دينهم ولكن كان عليهم دفع ضريبة الرأس (الجزية) التي استثنى منها المسلمون. كان المسلمون مطالبين بدفع ضريبة الزكاة، والتي كانت مخصصة بشكل صريح لمختلف برامج الرعاية الاجتماعية لصالح المسلمين أو الذين دخلوا الإسلام. في عهد الخلفاء الأمويين الأوائل، احتل المسيحيون مناصب بارزة، وكان بعضهم ينتمي إلى عائلات خدمت في الحكومات البيزنطية. كان توظيف المسيحيين جزءاً من سياسة أوسع للتكيف الديني استلزمها وجود أعداد كبيرة من المسيحيين في المقاطعات المحتلة، كما هو الحال في سوريا. كما عززت هذه السياسة من شعبية معاوية وعززت سوريا كقاعدة نفوذه. غالباً ما يعتبر العصر الأموي الفترة التكوينية في الفن الإسلامي.

و كانت نهاية الدولة الأموية حينما تلاقى جيش الأمويين بقيادة آخر خليفة أموي وهو مروان بن محمد، مع جيش العباسيين في معركة الزاب الشهيرة، حيث مُني الأمويون بهزيمة نكراء، سقطت على إثرها دولتهم، وذلك في سنة ١٣٢ للهجرة.



١-٢-٣-١. المدخل

في عهد الوليد بن عبد الملك^١ بين عامي (٩٢ - ٩٣ هـ) في الخلافة الأموية و في عام ٧١١ م أرسل موسى بن نصير^٢ القائد الشاب طارق بن زياد من طنجة مع جيش صغير من البربر والعرب يوم ٣٠ أبريل ٧١١، عبر المضيق الذي سمي

١. القرشي (٥٠ هـ - ٩٦ هـ / ٦٦٨ م - ٧١٥ م) سادس خلفاء الدولة الأموية ولد في المدينة المنورة وتولى الخلافة بعد وفاة والده عبد الملك بن مروان عام ٨٦ هـ، وأستمرت خلافته عشر سنوات حتى وفاته عام ٩٦ هـ، وهو الذي أنشأ الجامع الأموي في دمشق ببيع بعهد من أبيه، وكان مترفا، دميما، سائل الأنف، طويلا أسمر، بوجهه أثر جدري، في عنفقه شيب، يتبختر في مشيه، نهمته في البناء. أنشأ - أيضا - مسجد النبي محمد وزخرفته، ورزق في دولته سعادة. ففتح بوابة الأندلس، وبلاد الترك، وكان لحنه، وحرص على النحو أشهرها، فما نفع. وغزا الروم مرات في دولة أبيه. وحج. وقيل: كان يهتم في كل ثلاث، وختم في رمضان سبع عشرة ختمة. وكان يقول: لولا أن الله ذكر قوم لوط ما شعرت أن أحدا يفعل ذلك. قال ابن أبي عتبة: رحم الله الوليد، وأين مثل الوليد! افتتح الهند والأندلس، وكان يعطيني قصاع الفضة أقسمها على القراء. وقيل: إنه قرأ على المنبر «يا ليتها» بالضم. وكان فيه عسف وجبروت، وقيام بأمر الخلافة، وقد فرض للفقهاء والأيتام والزمنى والضعفاء، وضبط الأمور، فآله يسامحه. وقد ساق ابن عساكر أخباره. مات في جمادى الآخرة سنة ست وتسعين. وله إحدى وخمسون سنة. وكان في الخلافة عشر سنين سوى أربعة أشهر، وقبره بباب الصغير. وقام بعده أخوه سليمان بعهد له من أبيهما عبد الملك. وقد كان عزم على خلع سليمان من ولاية العهد لولده عبد العزيز، فامتنع عليه عمر بن عبد العزيز وقال: لسليمان بيعة في أعناقنا. وله ترجمة طويلة في تاريخ دمشق، وغير ذلك. يلقب عصر الوليد الأول العصر الذهبي للدولة الأموية كان عصره في قمة ازدهار الدولة الأموية وجه القادة من دمشق لفتح البلاد في مختلف الاتجاهات حيث وصل الإسلام إلى الصين شرقا وإلى الأندلس (إسبانيا) غربا، وكان من رجاله محمد بن القاسم الذي فتح بلاد السند وفتية بن مسلم والي خراسان الذي فتح بلاد ما وراء النهر وموسى بن نصير الذي انضم إلى طارق بن زياد في فتح غرب أفريقية وفي فتح الأندلس. بلغت الدولة الأموية في عهده أوج عزها حيث فتحت جيوشه بخارى وسمرقند وخوارزم، وفرغانة والهند وطنجة والأندلس. امتدت في زمنه حدود الدولة الإسلامية من المغرب الأقصى وإسبانيا غربا ووصل اتساع الدولة الأموية إلى بلاد الهند وتركستان فأطراف الصين شرقا في وسط آسيا لتكون بذلك الدولة الأموية أكبر إمبراطورية إسلامية عرفها التاريخ

٢. أبو عبد الرحمن موسى بن نصير (١٩ هـ / ٦٤٠ م - ٩٧ هـ / ٧١٦ م) قائد عسكري عربي في عصر الدولة الأموية. شارك في فتح قبرص في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان، ثم أصبح واليا على إفريقية من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك، واستطاع ببراعة عسكرية أن ينهي نزعات البربر المتوالية للخروج على حكم الأمويين، كما أمر بفتح شبه الجزيرة الأيبيرية، وهو الغزو الذي أسقط حكم مملكة القوط في هسبانيا. هناك اختلاف على أصول موسى بن نصير، فقد ذكر ابن بشكوال أن اسمه موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد، وذكر بعض المؤرخين أن أباه كان مولى من موالي قبيلة لخم وقيل من صلبها وهو الأرجح، وأن أباه كان على حرس معاوية بن أبي سفيان، وقيل على شرطة معاوية عندما كان واليا على الشام في خلافة عمر وعثمان، ثم أصبح وصيفاً لعبد العزيز بن مروان، فأعتقه. وذكر آخرون أنه ينتسب إلى بني بكر بن وائل، وأن أباه نصير كان من الذين أسرههم خالد بن الوليد في معركة عين التمر عام ١٢ هـ. وذكر آخرون أنه من أراشة من قبيلة بلي سبي أبوه من جبل الخليل من الشام في أيام الصديق، وكان اسم أبيه نصرا فصغر، أما عن مولده، فقد ولد موسى في عام ١٩ هـ. وفي عهد معاوية بن أبي سفيان، تولى موسى قيادة غزو قبرص. وفي عام ٧٣ هـ، نقل عبد الملك بن مروان أخيه بشر من قيادة جند مصر إلى البصرة، وعينه

على اسمه، ثم استطاع الانتصار على القوط الغربيين وقتل ملكهم لدرىق (Rodrigo or Roderic) في معركة جواداليتي في ١٩ يوليو ٧١١. أو معركة وادي برباط في ٢٨ رمضان ٩٢ هـ. وظلت الأندلس بعد ذلك خاضعة للخلافة

واليًا عليها. فأخذ بشر موسى معه لمعاونته، وعينه على خراج البصرة. ولما ولي الحجاج البصرة، اتهم موسى باختلاس أموال خراج البصرة، فغضب عليه الخليفة عبد الملك بن مروان وأغرمه، ولم ينقذه من هذا الاتهام سوى عبد العزيز بن مروان، الذي تحمّل نصف الغرامة المالية، وأخذ معه لولايته في مصر. وفي عام ٩٠ هـ، راسل الكونت يوليان موسى بن نصير وقيل قائده في طنجة طارق بن زياد يدعو المسلمين لغزو الأندلس، لعداوة بينه وبين رودريك ملك القوط. فكتب موسى للوليد يخبره بدعوة يوليان، فأمره باختبارها بالسرايا، ولا يغتر بالمسلمين بخوض بحر شديد الأحوال. إلا أن موسى طمأنه بأنه ليس بحرًا وإنما خليج، فرد الوليد بأنه وإن كان خليجًا اختبره بالسرايا. فأرسل موسى في رمضان ٩١ هـ سرية من ٤٠٠ مقاتل ومائة فارس بقيادة طريف بن مالك، فنزلوا جزيرة سميت بعد ذلك بجزيرة طريف، أصابت مغانم كثيرة. عندئذ، جهز موسى جيشًا من ٧٠٠،٠٠٠ مقاتل معظمه من البربر وولى قيادته طارق بن زياد، وأمره بالعبور للأندلس عام ٩٢ هـ. فجاز طارق بجنوده في ٥ رجب ٩٢ هـ إلى موضع الجبل الذي ينسب إليه اليوم. وحين بلغ رودريك خبر جيش طارق جمع جيشًا عظيمًا بلغ نحو مائة ألف مقاتل، وزحف به من عاصمته طليطلة. وحين بلغ طارق خبر حجم حشود رودريك، استمد موسى فأمدّه بخمسة آلاف مقاتل، ليصبح جيشه ١٢٠،٠٠٠ مقاتل. والتقى الجيشان في ٢٨ رمضان ٩٢ هـ/ ١٧ يوليو ٧١١ م قرب شذونة جنوب بحيرة خندة عند وادي لكّة، فهزم المسلمون جيش رودريك، وفر رودريك ولم يظهر مرة أخرى. ثم قسم طارق جيشه فبعث مغيث الرومي مولى الوليد بن عبد الملك في سبعمائة فارس إلى قرطبة، وأرسل مجموعات أخرى إلى البيرة وريّة، وتوجه هو بباقي الجيش إلى طليطلة. نجحت مجموعات قرطبة وإلبيرة وريّة في فتح تلك المناطق، كما دارت معركة صغيرة بين المسلمين والقوط في تدمير، نتج عنها معاهدة بين المسلمين وقائد القوط ثيوديمير. أرسل طارق إلى موسى يُعلمه بالفتح. فأرسل موسى إلى الوليد بن عبد الملك يبشره، وإلى طارق يأمره بأن لا يستكمل الفتح ويبقى بقرطبة حتى يلحق به. ثم استخلف موسى ابنه عبد الله على القيروان، وعبر إلى الأندلس في رجب ٩٣ هـ. بعد نزوله الأندلس، سلك موسى طريقًا غير الذي سلكه طارق، وافتتح مدن شذونة وقرمونة وإشبيلية وباجة وماردة. ثم ثار أهل إشبيلية على حاميتها من المسلمين وقتلوه، فأرسل لهم موسى ولده عبد العزيز فأعاد فتحها، ومنها افتتح عبد العزيز لبلة. ثم سار موسى يريد دخول طليطلة، فلقه طارق في طليطلة، وأنبه على مخالفته له في بعض الأمور ثم سارا معًا إلى طليطلة، ثم أرسل من افتتح سرقسطة ومدنها. وفي عام ٩٥ هـ، جاءت رسل الخليفة الوليد تدعو موسى بالقدوم عليه، فخرج موسى ومعه طارق بن زياد ومغيث الرومي يريدون دمشق، واستخلف ولده عبد العزيز مكانه الذي اتخذ من إشبيلية قاعدة له. ووفد موسى ومعه طارق على الخليفة سليمان بن عبد الملك بعد وفاة الوليد عام ٩٦ هـ. وتقول الروايات العربية، أن سليمان راسل موسى يطالبه بأن يتأني في القدوم، رغبة منه في أن يدخل عليه في صدر خلافته، وقد كان الوليد في مرض موته، إلا أن موسى رفض، وجدّ في السير، وهنا تختلف الروايات فبعضها يقول بأنه أن أدرك الوليد قبل موته، والبعض يقول أنه وصل دمشق بعد أن أصبح سليمان خليفة. وعند قدوم موسى على سليمان، أمر سليمان بعزله واتهمه باختلاس أموال وسجنه وأغرمه، ولم ينقذه سوى شفاعة يزيد بن المهلب الذي كانت له حظوة عند سليمان. قال عنه ابن خلكان: «كان عاقلاً كريماً شجاعاً ورعاً تقيّاً لله تعالى، لم يُهزم له جيش قط». ويعد موسى بن نصير من التابعين، وقد روى عن تميم الداري، وروى عنه يزيد بن مسروق اليحصبي. وقد خرج مع الخليفة سليمان بن عبد الملك للحج عام ٩٧ هـ، ومات في الطريق في وادي القرى أو بمر الظهران، وصلى عليه مسلمة بن عبد الملك. وإلى جانب مواهبه العسكرية والإدارية، كان موسى بليغاً في النثر والنظم

الأموية كإحدى الولايات الرئيسية، إلى أن سقطت الخلافة الأموية سنة (١٣٢هـ)، واتجه العباسيون إلى استئصال الأمويين. وتمكن عبد الرحمن بن معاوية -عبد الرحمن الداخل- أن يفلت من قبضة العباسيين، فهرب إلى أخواله في الشمال الإفريقي، وأقام عندهم فترة من الزمن، ثم فكر في دخول الأندلس ليعتد عن العباسيين، فراسل الأمويين في الأندلس.

بحلول عام ٧١٨ استولى المسلمون على معظم أيبيريا عدا جيئاً صغيراً فأسس النبيل القوطي بيلايو مملكة أستورياس في العام نفسه ٧١٨. واستطاع بيلايو الدفاع عن مملكته في وجه المسلمين في معركة كوفادونجا عام ٧٢٢. واستمر موسى ابن النصير في محاولاته لفتح الأندلس

واصل المسلمون التوسع بعد السيطرة على معظم أيبيريا لينتقلوا شمالاً عبر جبال البرنبيه حتى وصلوا وسط فرنسا وغرب سويسرا. هُزم الجيش الإسلامي في معركة بلاط الشهداء (بواتيه) عام ٧٣٢ أمام قائد الفرنجة شارل مارتل. محاولة السيطرة على البرتغال: أرسل القائد موسى بن نصير إلى ابنه عبد العزيز ليستكمل الغزوات في غرب الأندلس حتى وصل إلى لشبونة أما موسى بن نصير وطارق بن زياد فقد اتجها شمالاً إلى برشلونه ثم سرقسطه فشمال تجاه الوسط والغرب حتى انتهت السيطرة على كل الأندلس في ٣ سنين ونصف.

١-٢-٣-٢. نبذة من تاريخ الأندلس

الأندلس المعروفة أيضاً في الخطاب الشعبي الغربي خصوصاً والعربي والإسلامي أحياناً باسم «إسبانيا الإسلامية» أو «أيبيريا الإسلامية»، هي إقليم وحضارة إسلامية قروسطية قامت في أوروبا الغربية وتحديداً في شبه الجزيرة الأيبيرية، على الأراضي التي تُشكّل اليوم إسبانيا والبرتغال، وفي ذروة مجدها وقوّتها خلال القرن الثامن الميلادي امتدّت وُصولاً إلى سبتمانيا في جنوب فرنسا المعاصرة. غير أنّ التسمية عادةً ما يُقصد بها فقط الإشارة إلى الأراضي الأيبيرية التي فتحها المسلمون وبقيت تحت ظل الخلافة الإسلامية والدويلات والإمارات الكثيرة التي قامت في ربوعها وانفصلت عن السلطة المركزيّة في دمشق ومن ثمّ بغداد، منذ سنة ٧١١م حتّى سنة ١٤٩٢م حينما سقطت الأندلس بيد اللاتين الإفرنج وأُخرج منها المسلمون، علماً أنّ طيلة هذه الفترة كانت حدودها تتغيّر، فتتقلّص ثمّ تتوسّع، ثمّ تعود لتتقلّص، وهكذا، استناداً إلى نتائج الحرب بين المسلمين والإفرنج.

فُسِّمَت الأندلس إلى خمس وحدات إداريّة بعد فتحها واستقرار الحكم الإسلامي فيها، وتلك الوحدات تُقابل تقريباً كلاً من: منطقة أندلوسيا، والجُمهوريّة البرتغاليّة، ومنطقة جليقية (غاليسيا)، ومنطقة أراگون المعاصرة؛ ومنطقة قشتالة، ومملكة ليون، وكونتيّة برشلونه، ومنطقة سبتمانيا التاريخيّة. أمّا من الناحية السياسيّة، فقد كانت في بادئ الأمر تُشكّل ولاية من ولايات الدولة الأمويّة زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك، وبعد انهيار الدولة الأمويّة وقيام الدولة العبّاسيّة، استقلّ عبد الرحمن بن معاوية، وهو أحد أمراء بني أُميّة الناجين من سُيوف العبّاسيين، استقلّ بالأندلس وأسس فيها إمارة قُربّة، فدامت ١٧٩ سنة، وقام بعدها عبد الرحمن الناصر لدين الله بإعلان الخلافة الأمويّة عوض الإمارة، لأسبابٍ سياسيّة خارجيّة في الغالب،

وقد تفككت الدولة الأخيرة في نهاية المطاف إلى عدّة دويلات وإمارات اشتهرت باسم «الطوائف». كانت الإمارات والدول الأندلسية المتعاقبة مرتعًا خصبًا للتداول الثقافي بين المسلمين والمسيحيين واليهود من جهة، وبين العرب والبربر والقوط والإفرنج من جهة أخرى، وقد انصهرت هذه المكونات الثقافية في بوتقة واحدة وخرج منها خليطٌ بشري وحضاري ميّز الأندلس عن غيرها من الأقاليم الإسلامية، وجعل لها طابعًا فريدًا خاصًا. كانت الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للحكم والقضاء وحل المنازعات، وترك المسلمون أهل الكتاب من اليهود والنصارى يرجعون إلى شرائعهم الخاصة للتقاضي والتظلم، لقاء الجزية.

شكّلت الأندلس منارةً للعلم والازدهار في أوروبا القروسطية، في حين كانت باقي القارة تقبع في الجهل والتخلف، وأصبحت مدينة قرطبة إحدى أكبر وأهم مدن العالم، ومركزًا حضاريًا وثقافيًا بارزًا في أوروبا وحوض البحر المتوسط والعالم الإسلامي، منافسةً بغداد عاصمة الدولة العباسية والقُسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية. ساهم العلماء الأندلسيون على اختلاف خلفياتهم العرقية والدينية بتقديم مختلف أنواع العلوم في العالمين الإسلامي والمسيحي، ومن هؤلاء على سبيل المثال: جابر بن أفلح في علم المثلثات، وإبراهيم بن يحيى الزرقالي في علم الفلك، وأبو القاسم الزهراوي في الجراحة، وابن زهر في الصيدلة، وغيرهم.

عاشت الأندلس صراعاتٍ مريرة مع الممالك المسيحية الشمالية أغلب تاريخها، وبعد أن تفككت دولة الخلافة فيها وقامت دويلات ملوك الطوائف، تشجعت الممالك المسيحية على مهاجمتها وغزو أراضيها، بقيادة ألفونسو السادس ملك قشتالة، فانتفضت دولة المرابطين بالمغرب الأقصى لِنصرة الأندلس، وتمكّنت من صد الهجمات الإفرنجية والقضاء على استقلال جميع دويلات الطوائف، فأصبحت الأندلس ولايةً من ولايات الدولة المرابطية، ووريثتها الدولة الموحدية من بعدها. تمكّنت الممالك المسيحية الإفرنجية في نهاية المطاف من التفوق على جيرانها المسلمين، فتمكّن ألفونسو السادس من السيطرة على طليطلة سنة ١٠٨٥م، وسُرعان ما أخذت باقي المدن الإسلامية تتساقط بيد الإفرنج الواحدة تلو الأخرى، وفي سنة ١٢٣٦م سقطت قرطبة، وأصبحت إمارة غرناطة خاضعة لِسُلطان مملكة قشتالة وتدفع لها الجزية لقاء عدم التعرّض لها. وفي سنة ١٢٤٩م تمكّن ألفونسو الثالث ملك البرتغال من انتزاع منطقة الغرب من المسلمين، الأمر الذي جعل من غرناطة الحصن الوحيد والأخير للمسلمين في الأندلس. وفي يوم ٢ ربيع الأول ٨٩٧هـ الموافق فيه ٢ كانون الثاني (يناير) ١٤٩٢م، استسلم أمير غرناطة أبو عبد الله محمد الثاني عشر إلى الإفرنج وسلّم المدينة إلى الملكين الكاثوليكين: إيزابيللا القشتالية وفرناندو الثاني الأراكوني، مُنهيًا بذلك العصر الإسلامي في أيبيريا. وقد نرح المسلمون واليهود من الأندلس بأعداد كبيرة، وتبعثروا في المغرب العربي ومصر والشّام والآستانة عاصمة الدولة العثمانية. وكان العثمانيون قد خططوا للهجوم على الأندلس واستردادها، لكنّ الخطة لم تُطبّق لانشغال الأسطول العثماني بفتح قبرص ولعدم التوصل إلى اتفاق مع الدولة السعدية المغربية. تركت الحضارة الأندلسية علامةً بارزةً في الثقافتين الإسبانية والبرتغالية، من حيث المطبخ، والعمارة، وتخطيط الحدائق،

والملبس، خصوصاً في الأجزاء الجنوبية من تلك البلاد، كما استعارت اللغتين الإسبانية والبرتغالية الكثير من التعابير والمصطلحات العربية والأمازيغية وأصبحت تُشكِّل جزءاً لا يتجزأ من قاموسها.

١-٢-٣-٣. التسمية

ورد في قاموس المعاني أنَّ كلمة «أندلس» و«الأندلس» أصلها بربري، وقد اقتبسها العرب من الأمازيغ بفعل العشرة والاختلاط والتزاوج بين الطرفين في بلاد المغرب. وقيل: «أندلس: بلاد جنوب إسبانيا، وهو الاسم الذي أطلقه العرب عليها حين فتحوها سنة ٧١١ م \ ٩٢ هـ، واستقروا فيها إلى غاية سنة ١٤٩٢ م \ ٨٩٧ هـ أهمُّ مدنها غرناطة وإشبيلية وفُزْطَبَةُ عرِفَت الحضارة العربية أوجها في بلاد الأندلس». وقيل أيضاً: «والأندلس بضمّ الهمزة والدال اللام: إقليم عظيم بالمغرب». اقترح المؤرخون الغربيون ثلاثة أصولٍ مُحتملةٍ للاسم، تتفق المصادر العربية والإسلامية مع إحداها على الأقل، وتقول جميع تلك النظريات أنَّ الاسم ظهر في البداية بعد انهيار الحكم الروماني في شبه الجزيرة الأيبيرية، غير أنَّ البعض يعارض هذا، ويقول بأنَّ الاسم سابقٌ على العهد الروماني، وقد أرفقوا ادعائهم هذا بعددٍ من الأدلة عبر الاستعانة بخبرات علماء لغويين وعلماء مختصين بدراسة تسميات الأماكن.

١-٢-٣-٣-١. نظرية الأصل الوندالي

تنص هذه النظرية على أنَّ تسمية «الأندلس» ترجع إلى بعض القبائل الهمجية التي جاءت من شمال إسكندنافيا واستقرت في أيبيريا فترة من الزمن دامت من سنة ٤٠٩ م إلى سنة ٤٢٩ م. ويُقال أيضاً إنَّ هذه القبائل جاءت من جرمانية. وكانت هذه القبائل تُسمى «بالوندال» أو «الفندال»، فسُمِّيت هذه البلاد «بثانداليسيا» على اسم القبائل التي كانت تعيش فيها، ومع الأيام حُرِف إلى «أندوليسيا» فأندلس. يُقال بأنَّ صاحب هذه النظرية هو المؤرخ الهولندي المستشرق رينهاردت دوزي، الذي وضعها عندما تفرَّغ لدراسة اللغة العربية والحضارة الإسلامية في مصر أواسط القرن التاسع عشر. غير أنَّها تسبق زمانه، بدليل أنَّه قام بتفنيدها وإظهار أوجه القصور فيها، لكنَّه رغم ذلك يقول باقتناعه بأنَّ أصل الكلمة يأتي من عبارة «فندال»، وأنَّه يعتقد بأنَّ هذه كانت تسمية المرفأ الذي انطلق منه الوندال لغزو شمال أفريقيا، دون أن يشمل شبه الجزيرة بأكملها، بيد أنَّ موقع هذا المرفأ غير معلوم.

١-٢-٣-٣-٢. نظرية الأصل القوطي الغربي

خلال عقد الثمانينيات من القرن العشرين، ظهر رأي آخر حول أصل تسمية «الأندلس» على يد المؤرخ هاينز هالم، الذي رفض نظرية الأصل الوندالي رفضاً قاطعاً، وأرجعها إلى أصلٍ قوطيٍّ غربيٍّ. يقول هالم أنَّ القبائل الجرمانية المرتحلة كانت تُقسم الأراضي حديثة الفتح فيما بينها عن طريق القرعة، كما أنَّه من المعروف أنَّ أيبيريا كان الأجانب يعرفونها زمن القوط الغربيين باسمها اللاتيني، أي «Sors Gothica» (نقحرة: كوثيكا سورس)، ومعناها: «حصّة القوط». وهكذا، يفترض هالم أنَّ القوط أطلقوا على بلادهم الجديدة تسمية «بلاد القرعة» وأنَّ ذلك كان بلُغتهم الخاصة عوض اللاتينية. غير أنَّ

المقابل القوطي لعبارة «Sors Gothica» مُتخلفٌ على صحته، لكنَّ هالم أشار إلى أنَّه تمكَّن من إعادة صياغته واستنباطه، وأنَّه *landahlauts - لاندالوتس (يستخدمُ علماء اللُغويَّات العلامة النجميَّة للإشارة إلى الكلمات المختلف على صحَّة أصلها أو صياغتها). اقترح هالم أن يكون هذا المصطلح القوطي المقترح هو أصلُ التسميتين اللاتينيَّة والعربيَّة لِشبه الجزيرة الأيبيريَّة، فالاسم اللاتينيَّ كان ترجمةً حرفيَّةً للاسم القوطي، بينما برز الاسم العربيَّ نتيجة التقليد الصوتي وتحريف اللفظ بعد أن احتكَّ المسلمون بالقوط.

على الرُّغم من كُلِّ ما سلف، إلَّا أنَّ هالم فشل في تقديم الأدلَّة والبراهين الكافية التي تؤيِّد نظريَّته، فلم تؤخذ إلَّا على سبيل الاستئناس.

١-٢-٣-٣. نظريَّة الأصل الأطلنطي

من النظريَّات الأخرى حول أصل كلمة «الأندلس» هي تلك النظريَّة القائلة بأنَّها تحريفٌ عربيٌّ لكلمة «أطلنطس». وهذه نظريَّةٌ حديثة نسبيًّا، قال بها المؤرِّخ الإسباني «فالفيه»، مُستندًا في ذلك فقط على جدارة تصديق هذا الأمر ظاهريًّا بسبب التشابه الصوتي بين الكلمتين، ولأنَّ هذا من شأنه أن يشرح عدَّة أمور غامضة تتعلَّق بموقع قارَّة أطلنطس المزعومة، علمًا أنَّ المؤرِّخ سالف الذِّكر لم يُقدِّم أيَّة أدلَّة تاريخيَّة دامغة لدعم قوله.

كتب فالفيه يقول:

إنَّ المصادر العربيَّة التي ورد فيها ذكرُ جزيرة الأندلس وبحر الأندلس لِأوَّل مرَّة تُصَبِّح واضحةً للغاية لو قُمنَّا باستبدال تلك العبارة بعبارة «أطلنطس» أو «أطلنطي». والأمر نفسه يسري عند الحديث عن هرقل والأمازونيات اللواتي قيل بأنَّ جزيقتن، وفق التعليقات والتفسيرات العربيَّة لتلك الأساطير الإغريقيَّة واللاتينيَّة، كانت تقع في جوف الأندلس—أي ما يُشكِّلُ اليوم شمال أو قلب المحيط الأطلسي.

وقد حُدد موقعها على أنَّه المكان الذي نزلت فيه طلائع الجيش الإسلامي القادم من شمال أفريقيا. كما تذكر المخطوطة أنَّ جزيرة الأندلس أُعيد تسميتها «جزيرة طريفة» تيمُّنًا بقائد مُقدِّمة الطليعة البربري، المدعو «طريف بن مالك المعافري» المكنى «أبو زرة»، الذي تمكَّن من السيطرة على جزيرةٍ صغيرة تقع على بضعة كيلومترات من أيبيريا سنة ٧١٠م، قبل أن يتقدَّم طارق بن زياد بالجيش الرئيسي بعد سنةٍ من هذا الحدث ويفتح البلاد قلعةً تلو الأخرى. يُعرف موقع نُزول المسلمين الأوَّل في إسبانيا باسم «رأس المغاربة» (بالإسبانيَّة: Marroquí Punta) أو «رأس طريفة» (بالإسبانيَّة: Punta Tarifa de)، وهو يُشكِّلُ اليوم طرف جزيرة تُعرف باسم «جزيرة طريفة» تقع قبالة الشواطئ الأيبيريَّة.

أدَّى النص المذكور في المخطوطة العربيَّة، بالإضافة إلى الدليل اللُّغوي المكاني بأنَّ «الأندلس» هو اسمٌ ذو أصلٍ قيروماني (سابق على العصر الروماني)، أدَّى إلى اعتبار أنَّ جزيرة الأندلس وجزيرة طريفة هما ذات المكان الواقع حاليًّا قبالة شواطئ مدينة طريفة في إسبانيا، وأنَّ أيبيريا حصلت على اسمها العربي الإسلامي من تلك الجزيرة الصغيرة.



١-٢-٣-٤. الفتح الإسلامي

يُعدُّ فتح المسلمين للأندلس امتدادًا طبيعيًا لفتوح شمالي أفريقيا. والمعروف أنَّ المسلمين وصلوا في فتوحهم إلى المغرب الأقصى المواجه لشبه الجزيرة الأيبيرية في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك الذي شجّع هذا التوجّه وأعطى السياسة الخارجية اهتمامًا خاصًا بعد أن كانت الأوضاع الداخليّة في الدولة الأمويّة هادئة ومستقرّة. وكان المتعارف عليه أن يضطلع والي الذي فتح أراضٍ جديدة بفتح ما يليها لو توافرت الظروف المناسبة، وهكذا كان يُفترض أن يتولّى فاتح المغرب، وهو والي إفريقية حسان بن النعمان، مهمّة فتح الأندلس، لاسيّما وأنَّ كان له الفضل في تطهير منطقة المغرب من النفوذ البيزنطي والقضاء على ثورة البربر الثانية، لكنّه استُبدل بقائدٍ آخر ما أن انتهى من حل المشاكل الخارجية لولايته، وكان هذا القائد هو موسى بن نصير. غادر موسى بن نصير مصر مُتجهًا إلى إفريقية يُرافقه أولاده الأربعة وهم مفطرون على التربية العسكرية، وما أن وصل وتولّى مقاليد الولاية حتّى اهتمّ بتثبيت دعائم النصر الذي حققه سلفه في المغربين الأدنى والأوسط، ففتح ما تبقي من مُدنٍ وقلاعٍ خارجة عن سيطرة المسلمين، وأرسل أولاده في كُل اتجاه لثبيت أقدام المسلمين في المناطق المفتوحة. وبعد هذه الانتصارات خضعت بلاد المغرب كُلّها، وأقبل البربر على اعتناق الإسلام، وتطوَّع الكثير منهم في الجيوش كجنودٍ مُحاربين، وقُدِّر لبعضهم أن يُصبح أكثر حماسةً للإسلام من العرب أنفسهم، وهذا التحوُّل الذي طرأ على وضع البربر كانت له آثار إيجابية في فتح الأندلس بعد ذلك لأنَّ مُعظم قبائل البربر أخذت، بعد اعتناقها الإسلام، تتوق إلى الحرب والجهاد. وقد أدرك موسى بن نصير هذه النزعة فاستغلّها بتوجيههم إلى الفتوحات الخارجية، ولم يكن أمامه في هذه الحالة سوى عبور المضيق الفاصل بين المغرب وأيبيريا لتحقيق هذا الغرض.

بقيت مدينة سبتة الواقعة على ساحل البحر المتوسط المغربي خارج نطاق الدولة الأمويّة، وكانت تتبع، من الناحية النظرية، للإمبراطوريّة البيزنطية، إلّا أنَّ هذه الأخيرة فقدت تأثيرها الفعلي على هذا الجزء من الشمال الأفريقي، بفعل بُعدها عن مركز العاصمة، الأمر الذي جعل حاكمها يوليان مُستقلًا على الشريط الساحلي الممتد بين طنجة وسبتة، ويتوجّه في وقت الشدّة إلى مملكة القوط الغربيين (الممتدّة عبر أغلب أنحاء إسبانيا والبرتغال المعاصرتين وقسم بسيط من جنوب فرنسا). وكان يوليان هذا على صلاتٍ حسنةٍ مع مُلوك القوط السابقين، وهم آل غيشطة، وكان رسوهم إلى المسلمين، وكان بينه وبين لذريق (رودريك) ملك القوط آنذاك حقدٌ وعداوة، وتُشير المصادر العربية والإسلامية القديمة إلى أنَّ ذلك كان بسبب اعتداء لذريق على ابنة يوليان واغتصابها بعد أن أرسلها والدها إلى البلاط الملكي في طليطلة، جريًا على العادة، لتتربى تربية الأميرات. ولما تاخم المسلمون حدود كونيّة سبتة، وجد يوليان في قوّتهم خير من يُساعده في تحقيق أهدافه القاضية بالانتقام من لذريق ومُعانة حلفاءه آل غيشطة، فاتصل بمولى موسى بن نصير أمير طنجة المدعو طارق بن زياد، وعرض عليه أن يؤدي دور الوسيط بين المسلمين والغيشطيين والتيّار المناوئ للملك القوطي، واقترح عليه غزو أيبيريا بعد أن بيّن له حسناتها وفضلها وما تحويه من الخيرات وهوّن عليه حال رجالها ووصفهم بالضعف. وبأدب طارق بن زياد بالاتصال بموسى بن نصير

وأبلغه بما عرضه عليه يوليان لاتخاذ القرار بهذا الشأن. والواقع أنه لم يكن لدى موسى بن نصير ما يدعوه إلى رفض هذه الفكرة، ذلك أن الأمر قد يتطور إلى صورة فتح إسلامي شامل لهذا البلد ويدخله في دائرة الدولة الإسلامية. إلا أن عملاً ضخماً من هذا النوع، لا بُد وأن ينال موافقة الخليفة في دمشق، لذا كتب موسى إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك يُبلغه بما عرضه يوليان ويستأذنه بالعبور، فردَّ الوليد عليه بأن يتروى ويختبر البلاد بالسرايا أولاً. بناءً على هذا، أرسل موسى أحد القادة ويدعى طريف بن مالك المعافري، وهو من البربر، على رأس قُوَّةٍ عسكرية تُقدَّر بأربعمئة راجل ومئة فارس، في مُهمَّةٍ استطلاعية، وأمره بالقيام بالغارة على ساحل أيبيريا الجنوبي، وكان ذلك سنة ٩١ هـ الموافقة لسنة ٧١٠ م. نزل طريف وجنوده في جزيرة «بالوماس» (التي سُميت باسمه منذ ذلك الحين)، وأغار على المناطق التي تليها إلى جهة الجزيرة الخضراء وعاد مُحملاً بالغنائم، ومُقتنعاً بضعف وسائل الدفاع الأيبيرية. شجَّع نجاح طريف موسى بن نصير، فأرسل، في شهر رمضان سنة ٩٢ هـ الموافق فيه شهر حُزيران (يونيو) سنة ٧١١ م، قُوَّةً عسكريةً قوامها سبعة آلاف مُقاتل، تألَّفت غالبيتها من البربر، بقيادة مولاه ونائبه على طنجة طارق بن زياد. عبر طارق المضيق، ونزل تجاه الجزيرة الخضراء عند صخرة الأسد، وسيطر على الجبل بعد أن اصطدم بالحامية القوطية. وقد حمل الجبل منذ ذلك الوقت اسمه، فدُعي «جبل طارق» وعُرف المضيق بمضيق جبل طارق. أقام القائد المسلم عدَّة أيام في قاعدة الجبل، نظَّم خلالها جيشه، وأعدَّ خطة لفتح القلاع القريبة والتوغُّل في عمق أيبيريا، ونجح في فتح بعض القلاع والمدن منها قرطاجنة والجزيرة الخضراء، ثمَّ تقدَّم باتجاه الغرب حتَّى بلغ بحيرة خندة جنوبي غربي أيبيريا التي يقطعها نهر برباط عبر وادي لكة الشهير، وعسكر هناك. وعلم بواسطة جواسيسه بأبناء الحشود الضخمة التي حشدتها لذريق الذي تقدَّم باتجاه القُوَّات الإسلامية، وعسكر على الضفة المقابلة للنهر. وبدا الفرق واضحاً بين القُوَّتين كبيراً ممَّا دفع طارق إلى طلب النجدة من موسى بن نصير، الذي كان يُراقب باهتمام أخبار الحملة من الساحل الأفريقي. فأمدَّه بخمسة آلاف مُقاتل.

التقى الجيشان الإسلامي والقوطي عند وادي لكة من كورة شدونة، على بُعد أميال إلى الشرق من قادش، وجرت بينهما معركة طاحنة انتهت بانتصار المسلمين، وتمَّ القضاء على الجيش القوطي ومعه الملك.

وفتح هذا الانتصار أمام المسلمين باباً واسعاً للولوج منه إلى عمق أيبيريا، وأخذت المدن والقلاع تتساقط تباعاً، وهكذا فُتحت قرطبة ومالقة وإبيرة وأريولة وطليطلة، العاصمة القوطية الشهيرة. وطارد المسلمون فلول الهاربين باتجاه الشمال الغربي قبل أن يعودوا إلى طليطلة في خريف سنة ٩٣ هـ الموافقة لسنة ٧١٢ م، لِتنتهي هذه المرحلة من عملية فتح أيبيريا بنجاح كبير. كتب طارق إلى موسى يُخبره بما أصاب من انتصارات وما فتحه من مُدن، فردَّ عليه يأمره ألاَّ يتجاوز مكانه حتَّى يلحق به. أقبل موسى بن نصير في شهر رمضان سنة ٩٣ هـ الموافق فيه شهر حُزيران (يونيو) سنة ٧١٢ م إلى الجزيرة الخضراء على رأس قُوَّةٍ عسكرية تُقدَّر بِثمانية عشر ألف مُقاتل، ولما دخل أيبيريا سار في طريق غربي الطريق التي سلكها طارق، وفتح مُدناً أخرى مثل قرمونة ثمَّ مضى إلى إشبيلية في الشمال الغربي، وكانت الهدف الرئيسي في حملته ففتحها في سنة ٩٤ هـ الموافقة

لسنة ٧١٣م بعد حصار، وصالحته مدينة ماردة، وامتدت فتوحاته إلى برشلونة شرقاً وأربونة في الجوف وقادش في الجنوب وجليقية في الشمال الغربي. ولما اقترب من طليطلة خرج طارق بن زياد لاستقباله في طلبيرة التي شهدت مجلساً عسكرياً لتقييم ما تمّ إنجازه من خطة الفتح وما سيتمّ فتحه مُستقبلاً. وجدّد موسى بن نصير لطارق إمرة الجيش واشتركا معاً في حملةٍ عسكريّةٍ استهدفت مدينة سرقسطة في إقليم أراغون ففتحها. ثمّ افترقا فصار موسى نحو الشمال مُخترباً جبال البرينييه، فغزا ولاية سبتمانيا، وفتح قرقشونة وناربون، وغزا وادي الرون في بلاد الفرنجة ووصل إلى مدينة ليون. في هذه الأثناء تلقى كل من موسى بن نصير وطارق بن زياد أمراً من الخليفة بوقف العمليّات العسكريّة والعودة فوراً إلى دمشق، وهكذا انتهت فتوحات الأندلس الأساسيّة.

١-٢-٣-٥. الإمارة الأمويّة (إمارة قرطبة)

أصبحت الأندلس بعد فتحها ولايةً من ولايات الدولة الأمويّة، واستمرّت تخضع للسلطة المركزيّة في دمشق حتّى عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥ هـ \ ٧٢٤ - ٧٤٣م)، عندما ضعفت الحكومة المركزيّة، وانهمك ولاة وأمرأ شمالي أفريقيا بشؤونهم الداخليّة وفي مُقدّماتها ثورات البربر بعد أن استقطبهم الخوارج، فبات لازماً على المسلمين في الأندلس أن يُدافعوا عن أنفسهم بأنفسهم. وقد حاول المسلمون منذ سنة ١٠٠ هـ الموافقة لسنة ٧١٨م الاندفاع وراء جبال البرينييه في غالة، فحصلت بينهم وبين الإفرنج عدّة وقعات عنيفة انتصر المسلمون في بدايتها، ثمّ انقلبت الآية عليهم، وفي سنة ١١٤ هـ الموافقة لسنة ٧٣٢م، اشتبك المسلمون والفرنجية في رحي معركةٍ عنيفة انهزم فيها المسلمون، وتوقّف المد الإسلامي باتجاه قلب أوروبا.

وفي ١١ جمادى الآخرة ١٣٢ هـ الموافق فيه ٢٥ كانون الثاني (يناير) ٧٥٠م، اخارت الدولة الأمويّة بعد أن انهزم آخر الخلفاء الأمويين مروان بن مُحمّد في معركة الزّاب أمام العبّاسيين، ودخل هؤلاء إلى دمشق للقضاء على من تبقى من أمرأ بني أميّة، لكنّ أحد هؤلاء الأمراء، وهو عبدُ الرحمن بن مُعاوية، نجا من المذبحة المروّعة وبمّ وجهه صوب المغرب على أمل الاستقرار في رُبوعه بعيداً عن مركز نفوذ العبّاسيين في العراق. وكان عبدُ الرحمن هذا يُحطّط لإنشاء دولةٍ للأمويين في ولاية أفريقية نظراً لكثرة من هرب إليها من بني أميّة، لكنّ واليها الأساسي عبدُ الرحمن بن حبيب الفهري كان قد خطط للاستقلال بها أيضاً، وتشدّد في مُعاملة الأمويين وضيق الخناق عليهم وصادر أموالهم وقتل بعضهم،

فآثر عبدُ الرحمن بن مُعاوية مُغادرة الولاية وتوجّه بطُموحه إلى ولاية الأندلس التي وجد فيها الفرصة الأكثر منالاً من المغرب وأفريقية. وكانت الأندلس في ذلك الوقت تتعرّض لهجمات جيرانها المسيحيين في الشمال، وكان من العسير على الأندلسيين الاتفاق على زعيمٍ يلتف الجميع حوله بسبب النزاعات المتواصلة بين القبائل المضربّة واليمانيّة. وشرع عبدُ الرحمن بن مُعاوية يعمل على استغلال الموقف لمصلحته، فأرسل مولاةً بدرًا إلى الأندلس ليعبّي أنصاره فيها، فاجتمع بدر فور وصوله إلى ساحل البيرة بمؤلاء الأنصار وعرض عليهم مأساة الأمويين والكارثة المفجعة التي حلّت بهم، مُشيداً بصفات عبد

الرحمن بن معاوية ومؤهلته كحفيد هشام بن عبد الملك، ومقدرته على رد الأمر لجماعة الأمويين إذا ما أُتيحت له فرص المساعدة. وافقت دعوة عبد الرحمن رغبة اليمانية المدفوعين بالرغبة في الثأر لهزيمتهم أمام الفهرية والقيسية في موقعة شقندة، فاحتشدوا لنصرة عبد الرحمن. ثم أرسل زعماء الموالي مركباً تعبر به إلى الأندلس، فوصل إلى ثغر المنكب في ربيع الآخر سنة ١٣٨هـ الموافق لشهر أيلول (سبتمبر) ٧٥٥م. أحدث دخول عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس رد فعل إيجابيّ من جانب أنصاره من الموالي وغيرهم من اليمنيين، فتوافدوا عليه للسلام والبيعة. وبلغت الأحداث مسامع يوسف الفهري، آخر ولاة الأندلس، فحاول بدايةً التفاوض مع الأمير الأموي بعد أن رأى كثرة أنصاره واتساع شعبيته، ففشل، وكان لا بُد من الصدام العسكري لتقرير مصير الأندلس، وفي ضحى يوم ٩ ذي الحجة ١٣٨هـ الموافق فيه ١١ أيار (مايو) ٧٥٦م، دارت معركة حاسمة بين الطرفين انتهت بنصر عبد الرحمن، الذي استثمر انتصاره بأن تقدّم نحو قرطبة ودخلها، وترنّع على العرش في قصر الإمارة، وبايعه الناس البيعة العامة، ثمّ أدّى صلاة الجمعة في المسجد الجامع، وخطب بالناس مُعلنًا قيام الإمارة الأموية، وموضحًا سياسته القائمة على العدل والإحسان.

عُرف عبد الرحمن بن معاوية باسم «عبد الرحمن الداخل»، كونه «دخل» (أي هاجر) إلى الأندلس، ومُنذ أن تسلّم الحكم حتّى دخل المسلمون في الأندلس في عهد جديد قائم على أسسٍ سياسية بعيدة عن العنصرية والقبلية من واقع تحجيم نفوذ زعماء القبائل وإحلال سلطة الدولة مُثّلة بالأمير، محل سلطة القبائل، وبدأت الأندلس تسير في طريق اكتساب الحضارة.

وبفعل الاستمرار في هذا الاتجاه، برز في عهد الإمارة الكثير من المعالم الحضارية التي استمرت زهاء قرنين، كما ظهرت خصائص المجتمع الإسلامي بشكل واضح. وبدأ عهد الإمارة يجني ثمار ما عُرس أثناء عهد الولاة في جوانب التبدّل الذي تمّ نتيجة لدخول الإسلام إلى الأندلس، وهو ما شمل الجوانب الحضارية المتعددة والإنسانية كافة. وأضحى الأندلس بلدًا إسلاميًا مُستقلًا عن الخلافة العبّاسية في المشرق بعد أن كان خاضعًا لمركز الخلافة في العهد الأموي، ولم تُحاول الدولة العبّاسية جديدًا إعادته إلى حظيرتها. ويبدو أنّ انفصاله النهائي عنها لم يُشكّل خطرًا حقيقيًا مُباشرًا على كيانها، بالإضافة إلى أنّه استمرّ في حمل الرسالة الإسلامية، ولا يدعو ذلك بالضرورة للمواجهة المباشرة، غير أنّه جرت مُحاولات عابرة قام بها العبّاسيون لإعادته إلى حظيرة الخلافة، لكنّها لم تُحقّق شيئًا. وتوقّفت حركة الفُتوح في هذا العهد، وقنع المسلمون بما وضعوا أيديهم عليه من أراضٍ، وأخذوا يُنظمون شؤونهم ويُرَبّون أوضاعهم حتّى ينعموا بثمرات الفتح، فظهرت التنظيمات المختلفة، مثل منصب الحجابة والوزارة، كما ظهرت البحرية الأندلسية، وتطوّرت التنظيمات العسكرية مع العناية بالثغور والأساطيل. واتبع عبد الرحمن الداخل سياسة حكيمة تجاه الدولة العبّاسية في بداية عهده، وذلك بوصفها صاحبة السيادة الروحية على العالم الإسلامي، فلم يُعلن الانفصال عنها بدايةً لكي لا يُثير الشعور العام على الرغم من كُرهه الشديد للعبّاسيين، فدعا للخليفة العبّاسي أبي جعفر المنصور، ولكن لمدّة قصيرة لم تتجاوز عشرة أشهر، حيث قطع الدّعاء للعبّاسيين وأعلن انفصال

الأندلس عن الدولة العبّاسيّة، واستقلالها بأمورها إلى جانب المنجزات الحضاريّة الكثيرة، شهد عهد الإمارة الأمويّة عددٌ من القلائل تمثّلت بعدّة ثورات، اتخذ بعضها طابعاً عرقيّاً وبعضها طابعاً دينيّاً واجتماعيّاً، ومن تلك الثورات على سبيل المثال: ثورة البربر في شنتبرية بقيادة شقيا أوسفين بن عبد الواحد المكناسي البربري الذي ادّعى أنّه من نسل الإمام الحسين بن عليّ، فغُرف بالفاطميّ،

واستطاع من خلال اعتناق المذهب الشيعي أن يستغلّ الشعور الديني القوي في الثغرين الأوسط والأدنى، وتنظيم حركة سياسيّة دينيّة، وُثِّمًا نسّق مع الدّعاة الفاطميين في شمالي أفريقيا. وقد امتدّت تلك الثورة طيلة ثماني سنوات (١٥٢ - ١٦٠هـ \ ٧٦٩ - ٧٧٧م). كذلك شهد هذا العهد محاولة الفرنجة بقيادة الإمبراطور شارلمان غزو الأندلس بعد أن اتفق مع سليمان الأعرابي حاكم برشلونة ومعه الحسين بن يحيى الأنصاري زعيم سرقسطة اللذين ثارا على السّلطة المركزيّة، لكنّ المحاولة فشلت، وأخذ الأعرابي أسيراً إلى بلاد الفرنجة، وقُتل الأنصاري. عاود الفرنجة هُجومهم على الأندلس بعد بضع سنوات، وفي هذه المرّة تمكّنوا من السيطرة على برشلونة، فكانت تلك ضربةً قاسيةً للمُسلمين، بحيث فقدوا شطراً هاماً من تُغورهم القريبة من جبال البرنييه، وفشلت جميع مُحاولاتهم في استعادتها. بالمقابل نجح الفرنجة في فرض سيطرتهم على الأراضي الإسلاميّة الممتدّة على طول الحافّة الجنوبيّة من تلك الجبال، واتخذوا المدينة قاعدة انطلاق للاستيلاء على المدن المجاورة. وفي سنة ٢٢٩هـ الموافقة لسنة ٨٤٤م، حاول النورمان غزو الأندلس عبر مدينة أشبونة الواقعة على السّاحل الغربي، فصدّهم والي المدينة، لكنّ غاراتهم استمرّت طيلة شهرين من الزمن وكادت أن تتعرّض فيها سلامة البلاد لِخطرٍ مُحقّق لولا يقظة الأمير عبد الرحمن الأوسط وقادته وحُسن استعدادهم العسكري، فهُزم النورمان شرّاً هزيمة واضطرّ ملكهم إلى طلب الصّلح، وأُبرم تفاهم بينهم وبين المُسلمين. كذلك شهدت هذه الفترة ثورةً لعلّها الأشهر في تاريخ الأندلس هي ثورة عُمر بن حفصون، التي استمرّت حتّى سنة ٣١٦هـ، بعد عشر سنواتٍ على وفاة عُمر بن حفصون نفسه. ومُنذُ أواخر القرن الثاني الهجري، نشط المجاهدون الأندلسيّون فكثّفوا غاراتهم عبر البحر ضدّ أراضي الإمبراطوريّة الكارولنجيّة. وتطوّرت هذه الغارات في الرّبع الأخير من القرن الثالث الهجري نحو الاستقرار في جهات فرنسا الجنوبيّة. ففي سنة ٢٧٦هـ الموافقة لسنة ٨٨٩م، اشتدّ عود البحريّة الإسلاميّة، واضطربت الأوضاع في فرنسا بسبب انتقال السّلطة من الأسرة الكارولنجيّة إلى أسرة كابيه، فانقضّ المُسلمون على إقليم بروفانس وسيطروا عليه، ثمّ تخطّوه في أواخر القرن الثالث الهجري وتقدّموا شمالاً في عمق الأراضي الفرنسيّة، وأضحى نفوذهم بنهاية القرن سالف الذكر يمتد من لانجدوك غرباً إلى مشارف الأراضي السويسريّة شمالاً، ثمّ إلى الأطراف الغربيّة من إيطاليا شرقاً، فتحكّموا بذلك في مُعظم ممرات جبال الألب، وسيطروا على طريق المواصلات بين فرنسا وإيطاليا.

١-٢-٣-٦. الخلافة الأموية (خلافة قرطبة)

بُويع الأمير عبد الرحمن بن محمد بالإمارة يوم الخميس في ١ ربيع الأول ٣٠٠ هـ الموافق فيه ١٦ تشرين الأول (أكتوبر) ٩١٢ م، واضطلع منذ اليوم الأول الذي تولى فيه الحكم بإصلاح أحوال الأندلس بعد أن تكاثرت فيها الثورات وتجمّع حولها الأعداء، فأعلن من خلال منشور عام التأكيد على التسامح وإسقاط كافة الجرائم التي اقترفت بحق الدولة في حال أعلن الناثرون الولاء للسلطة المركزية في قرطبة، كما توعد وأنذر باجتثاث معاقلة الناثرين والعابثين بأمن البلاد والمتحالفين مع القوى الأجنبية ضد الدولة. لقي منشور الأمير استجابة من بعض الناثرين، وتوالت اعترافاتهم بحكمه، غير أن فريقاً ظلّ متجاهلاً نداءه، وهم جماعة عمر بن حفصون، فاضطرّ عبد الرحمن بن محمد إلى تجريد حملة عسكرية لإسحقه، ونجحت العمليات العسكرية في تطويع الأقاليم والحصون النائرة بقيادة بني حفصون، كما تمكنت من استرداد بطليوس وبيشتر وطليطلة ومناطق الثغر الأعلى، التي كانت قد أصبحت شبه مستقلة في عهد محمد بن عبد الرحمن وولديه المنذر وعبد الله، وقامت فيها دويلات بنو قُسي وبنو تَجيب ومحمد بن عبد الملك الطويل وعبد الرحمن بن مروان الجليقي. بعد القضاء على الثورات الداخلية، اتخذ عبد الرحمن بن محمد أكبر وأخطر قرار له على مدى حياته السياسية، لم يتجرأ أسلافه على اتخاذه، وهو تلقيب نفسه بلقبين ساميين، الأول لقب الخليفة، والثاني لقب أمير المؤمنين، وأضاف إلى اسمه اللقب الشرفي: «النَّاصر لدين الله»، وأمر بأن تتضمن خطبة الجمعة في المسجد الجامع ذلك.

واستمر هذا اللقب في عهده وعهد خلفائه من بعده حتى انقرضت دولة الأمويين سنة ٤٢٢ هـ الموافقة لسنة ١٠٣١ م.

خريطة الدولة الأموية بالأندلس والدويلات التي عاصرتها بعد أن دبّ الضعف في الخلافة العباسية ببغداد. خرج عبد الرحمن الناصر بعمله هذا عن الأصل النظري للمذهب السني للخلافة، القائل بأن الخلافة كمؤسسة دينية ودنيوية لا يمكن أن تتجزأ حسب المفاهيم السائدة في ذلك الوقت، إلا أنه وضع هذا العمل في موضع الاجتهاد. وأجاز الفقهاء والعلماء السنة بتعدد الخلافة في حال وجود مصلحة عامة للمسلمين، واعترفوا بشرعية وجود إمامين يتوليان حكم المسلمين في وقت واحد، شرط أن تكون المسافة بينهما كبيرة حتى لا يحصل التصادم بينهما.

ومن الأسباب الواقعية التي دفعت عبد الرحمن الناصر إلى إعلان الخلافة، كان ضعف الدولة العباسية وانحدار سمعتها إلى الحضيض، بحيث تحوّلت إلى مطية لأطماع القادة الترك المهيمين على مصائر الخلفاء، والذين أضحوا أصحاب الكلمة النافذة في الدولة غير عابئين بالخلافة بوصفها لقباً له حرمة، ولا بالخليفة بوصفه صاحب سلطة دينية وزمنية. كذلك فقد كان الإمام عبّيد الله المهدي الفاطمي قد بُويع بالإمامة في أفريقية وتلقب بأمر المؤمنين في سنة ٢٩٧ هـ الموافقة لسنة ٩١٠ م، لينافس عدوّه الرئيسي خليفة بغداد، وربما كانت هذه الحادثة أكثر إلحاحاً من تراجع نفوذ الخلافة العباسية في المشرق للإقدام على هذه الخطوة من جانب عبد الرحمن الناصر، لا سيما وأنّ الفاطميين كانوا قد أعلنوا الخلافة على أساس شيعي إسماعيلي، وهو ما مثّل تهديداً عسكرياً ودينياً للأمويين بصفة خاصة والأندلس بصفة عامة. وفي سبيل مواجهة هذا الخطر حصّن

النَّاصِر الموانئ الجنوبيَّة للأندلس، وضمَّ موانئ المغرب المواجهة للأندلس في مليلة وسبتة وطنجة، إضافة إلى دعم البربر المعادين للفاطميين في المغرب مادياً وعسكرياً، وفي الوقت نفسه، استطاع عبد الرحمن النَّاصِر التصدي لأطماع الممالك المسيحيَّة في الشمال.

وصلت الأندلس إلى حالة كبيرة من الاستقرار والأمن بعد السيطرة على التمردات الداخليَّة، وبعد نجاح الحملات التي كانت تُرسل لِقِتال الممالك المسيحيَّة في الشمال، والتي كانت تعود مُحمَّلة بالغنائم والأموال، كما تحسَّنت أحوال البلاد الزراعيَّة والصناعيَّة، حتَّى بلغت جباية الأندلس من الكور والقرى في عهد عبد الرحمن النَّاصِر خمسة ملايين وأربعمئة وثمانين ألف دينار، ومن ضريبة الأسواق سبعمئة وخمس وستين ألف دينار، بالإضافة إلى ما كان يدخل خزائن الدولة من أخماس الأغنام.

كما بُنيت مدينة الزهراء شمالي غرب قرطبة بنحو خمسة أميال، لتكون قاعدة ملكيَّة جديدة بعدما ضجَّت قرطبة بساكنيها وازدحموا بها. وفي هذا العهد خطا المسلمون في بروفانس خطوةً أخرى في سبيل التوغُّل في غمق أوروبا. ففي سنة ٣١٨ هـ الموافقة لسنة ٩٣٠ م غزوا ثغر فريجوس، وهو من أمتع ثغور فرنسا الجنوبيَّة، كما غزوا ثغر طولون. وفي سنة ٣٢٧ هـ الموافقة لسنة ٩٣٩ م غزوا منطقة فاله في جنوبي سويسرة، واستقرُّوا فيها، واتخذوا منها قاعدة لغزو الأراضي المجاورة في سويسرة وإيطاليا، كما غزوا منطقة جزبرون في شرقي سويسرة، ووصلوا في توغُّلهم إلى بحيرة جنيف، وجاوزوا إلى مفاوز جورا الواقعة في شمالها، وسيطروا على ولاية ليكوريا في شمالي إيطاليا، وفتحوا آكام الألب وممرَّاتها، ونفذوا إلى منطقة نيس واخترقوا قلب ولاية دوفيني، وغزوا غرونوبل وسيطروا عليها مُدَّةً من الزمن، كما سيطروا على واديها الخصيب. تجاه هذا التوغُّل الإسلامي في غمق الفارَّة الأوروبيَّة، نهض الملوك والأمراء والأباطرة الأوروبيون لوقف المسلمين عند حدِّهم ودفعهم إلى الجنوب، فتمكَّن هيو ملك إيطاليا بالتعاون مع الإمبراطور البيزنطي رومانوس الأوَّل من هزيمة المسلمين وإرغامهم على التراجع حتَّى الآكام، وكاد يقضي على سُلطانهم في تلك الأنحاء لولا اضطراب الأوضاع الداخليَّة في بلاده، فاضطرَّ أن يعقد صلحاً مع المسلمين مُقابل أن يتمركزوا في رؤوس الألب وممرَّاته ويُعلقوا الطُّرق بوجه خصومه. وبذلك استعاد المسلمون بعض قلاعهم وسيادتهم في جنوبي بروفانس. أمَّا في الشمال، فقد أنشأ المسلمون في الأراضي التي سيطروا عليها سلسلةً من القلاع القويَّة لتكون مركزاً لغزواتهم في لومبارديا وفي سويسرة، غير أنهم أُخرجوا من بعض الجهات في بيدمونت.

عرفت دولة الخِلافة الأندلسيَّة أوجها الثقافي في عهد الحكم المستنصر بالله الذي واصل سياسات أبيه عبد الرحمن النَّاصِر، فكان عهده عهد ثقافة وعُمران.

إلا أنَّه أخطأ حين اختار ابنه الوحيد الطفل هشام المؤيَّد بالله لولاية عهده، فاستغل بعض رجال الدولة كالحاجب جعفر بن عُثمان المصحفي وصاحب الشرطة مُحمَّد بن أبي عامر صغر سنِّه وعدم قُدْرته على الحُكم في سنِّه الصغيرة، وفرضوا على الخِلافة وصاية أم الخليفة صُبح البشكنجيَّة، واستأثروا هم بكلِّ السُّلطات. ثُمَّ انفرد مُحمَّد بن أبي عامر بكلِّ السُّلطات بعد

أن تخلص من كُـل شركائه في الحُـكم الواحد تلو الآخر، وحجر على الخليفة الطفل، لتبقى بذلك السُلطة الإسميَّة فقط للخليفة، والحُـكم الفعلي لابن أبي عامر الذي تلقَّب بعد ذلك «بالحاجب المنصور». استطاع الحاجب المنصور أن يؤسس دولة داخل الدولة حتى أن بعض المؤرخين سمَّـها «الدولة العامريَّة». تميزت تلك الفترة بوجود تطور اجتماعي جديد بسيطرة البربر على المناصب القياديَّة في الجيش وكثرة عددهم واختفاء القيادة العربيَّة من الجيوش. استمرَّت سيطرة العامريين على الحُـكم طوال عهد الخليفة هشام المؤيَّد بالله، حيثُ خلف الحاجب عبد الملك المظفَّر بالله أباه المنصور سنة ٣٩٢هـ في كافة سُلطاته ومناصبه، ثمَّ خلفه أخاه عبدُ الرحمن شنجول بعد وفاته سنة ٣٩٩هـ، الذي لم يمض شهر على توليه الحجابة، حتى أجبر الخليفة على إعلانهِ ولاية العهد لشنجول. أثار ذلك حنق الأمويين في الأندلس بعد أن رأوا في ذلك اغتصاباً لحقِّهم في حُـكم البلاد، واستطاع أحدُ أمرائهم ويُدعى مُحمَّد بن هشام أن يُدير انقلاباً في جمادى الأولى سنة ٣٩٩هـ على حُـكم المؤيَّد وشنجول، ويطيح بهما من سُدَّة الحُـكم، ويعلن نفسه الخليفة الجديد. حرص مُحمَّد بن هشام على التنكيل بالعامريين والبربر الذين كانوا عماد جيش الحاجب المنصور، مما دعا الفتيان العامريين إلى الفرار إلى شرق الأندلس، وتأسيس إمارة في تلك الأرجاء، بينما التف البربر حول أميرٍ أمويٍّ آخر يُدعى سُليمان بن الحُـكم الذي ثار على الخليفة، ونجح في اقتلاعه من منصبه وإعلان نفسه خليفة في ربيع الأول سنة ٤٠٠هـ، لتدخل الأندلس فترة من القلاقل تصارع فيها الأمويين والبربر والحموديين على السُلطة. وقد استمرت الفتنة حتى سنة ٤٢٢هـ حيثُ سقطت الخِلافة في الأندلس نهائياً، وتفتت الدولة إلى دُوِيلاتٍ صغيرة عُرفت تاريخياً بِدُوَل الطوائف.

١-٢-٣-٧. الوضعية السياسية بالأندلس خلال القرن الخامس الهجري

منذ نهاية القرن الرابع الهجري، استبد الحجاب بالسلطة الفعلية في الأندلس، وتعاقب على العرش مجموعة من الخلفاء الأمويين العاجزين و المتصارعين. فضعف الحكم المركزي بقرطبة. وانتهى بسقوط الخلافة الأموية سنة ٤٢٢ هجرية / ١٠٣١ ميلادية. نتيجة لذلك، انقسمت الأندلس إلى مجموعة من الإمارات الصغيرة المتطاحنة سميت بممالك الطوائف. فشجع هذا الوضع على توحد بعض الممالك المسيحية، وشرعت في التوسع على حساب المسلمين. وتمثل ذلك في احتلالها لطليطلة عام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م.

بدأ عصر ملوك الطوائف بالأندلس عام (٤٢٢هـ) عندما أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور سقوط الدولة الأموية بالأندلس، وكان هذا الإعلان بمثابة إشارة البدء لكل أمير من أمراء الأندلس ليتجه كل واحد منهم إلى بناء دويلة صغيرة على أملاكه ومقاطعاته، ويؤسس أسرة حاكمة من أهله وذويه، وبلغت هذه الأسر الحاكمة أكثر من عشرين أسرة أهمها:

- دولة بنو عباد بإشبيلية (٤١٤هـ - ٤٨٤هـ).

- بنو جهور في قرطبة (٤٢٢هـ - ٤٤٩هـ).

- بنو حمود ب مالقة (٤٠٧هـ - ٤٤٩هـ).

- بنو زيري ب غرناطة (٤٠٣ هـ - ٤٨٣ هـ).
 - بنو هود ب سرقسطة (٤١٠ هـ - ٥٣٦ هـ).
 - بنو رزين ب السهلة (٤٠٢ هـ - ٤٩٧ هـ).
 - بنو ذى النون ب طليطلة (٤٠٠ هـ - ٤٧٨ هـ).
 - بنو الأفطس في بطليوس (٤١٣ هـ - ٤٨٧ هـ).
- فصار كل منهم (ملوك الطوائف) يشن الغارة على جاره إلى ان ضعفوا عن لقاء عدو في الدين . حتى لم يبق في أيديهم إلا ما هو ضمان . إتاوة في كل عام مقرر^١.
- الحياة الاقتصادية بالأندلس خلال القرن الخامس الهجري
- ظل اقتصاد الإمارات الأندلسية منتعشا على الرغم من التجزئة السياسية، فقد اقيمت مزروعات متنوعة وغنية كالزعفران وقصب السكر. كما نشطت صناعة المواد الاستهلاكية والمصدرة. وتوسعت تجارة الموانئ الأندلسية عبر البحر المتوسط، بل شملت أيضا سواحل الهند و الصين وشرق إفريقيا.
- ثانياً: أسباب فتح الأندلس
- هناك أسباب عدة ساعدت في ضمّ الأندلس من أهمها:-
- تشجيع المسلمين من قبل جولييان حاكم سبته بسبب خلافه مع ما لك لذريق.
- حماية الدولة الإسلامية من البيزنطيين.
- رفع ظلم القوط الذين اخذوها من البيزنطيين، وكانوا متسلطة ومضطربة وقد كرهها سكان البلد يعد ان عرفوا المسلمين.
- الفوائد الاقتصادية فهي بلاد غنية.
- نشر الدين الإسلامي
- ثالثاً: مراحل فتح الأندلس
- بدأ فتح الأندلس في عهد الوليد بن عبد الملك.
- غزوة طريف بن مالك
- قام طريف وهو من قادة موسى بن نصير بهجوه استطلاعي يهدف للتعرف على ما يجري في الجزيرة الإيبيرية فهجم على الساحل، وظهرت ضعف القوطيين مهد لفتح الأندلس.

١. المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج ١، ص ٤٦

غزوة طارق بن زياد

جهز موسى بن نصير غزوة طارق بن زياد فعبر طارق إلى الأندلس ونزل الجيش كالي - جبل طارق - وحقق تقدماً بمحاذات الساحل فاستولى الجزيرة الخضراء وعلى قرطاجة.

ولما علم قادة القوط لذريق بذلك قام بتجهيز جيش لمواجهة طارق، فجرت معركة في وادي لكّه سنة ٩٢ هـ ومن نتائجها انتصار المسلمين واستطاع طارق السيطرة على طليطلة وغرناطة وقرطبة.

غزوة حملة موسى بن نصير

عبر موسى نصير بن جبل طارق لمساندة طارق في فتح الأندلس، وبدأ فتوحاته بالجزيرة الخضراء، وسرقسطة حتى سيطر على مدن الأندلس جميعاً، وانتقل موسى إلى اشبيلية ونظم الأمور العسكرية والإدارية وعين ولده عبدالعزيز اميراً على الأندلس وانهم حماية الحدود.

غزوة بلاط الشهداء

وصل الفتح إلى أوروبا فتجمعت الفرنجة لمواجهة انتهت بهزيمة المسلمين وقتل الغافقي قائد المسلمين. وهذا ما حد من توسع الفتح في أوروبا.

رابعاً: سقوط الأندلس

بدا السقوط في الأندلس بطليطلة على أيدي الإسبان فاستدعا ملوك الطوائف بن تاشفين امير مراكش وحدثت معركة الزلاقة و انتصر المسلمون، وجعلت الأندلس تسقط تباعاً فسيطر الإسبان على غرناطة، وفي سنة ١٤٩٢ م كان سقوط الأندلس بالكامل وأخرج المسلمون منها، و أسباب سقوط الأندلس هي: -

تفرق الامراء

جبنُ الأمراء

إغراءات الاسبان لأهلها.^١

خامساً: سقوط الأندلس وأسبابه

البعد عن الشرع فانتشر شرب الخمر، واللهو، وقرب الأمراء المغنيين وبنوا مدارس لتعليم الغناء.

ترف حكام الأندلس وانشغالهم الملبس والمسكن والمأكل وترك الدفاع عرضهم و أرضهم.

ترك العلماء لدورهم الإصلاحيّ خصوصاً الحث على الجهاد، و انشغلوا بالمواضيع الخلافية، وشاركوا بالمنكرات، وتزلفوا

للأمراء، وتركوا الأمر بالمعروف، ودعوا الى المنكر.

حروب الحكام من اجل السلطة والانغماس في اللهو.
 مولاة الصليبيين من قبل حكام الأندلس و إقامة علاقات مع الصليبيين، و مساعدتهم في حروبهم الداخلية.
 النزاعات بين المسلمين فالعرب و البربر، و اليمانية و القيسية، ما ادى الى مقتل الكثير من المسلمين ففاق من قتل في فتح الأندلس.

١-٢-٤. الحضارة الإسلامية وخصائصها

هناك خصائص قام عليها الإسلام وحضارته منها:^١

الأخلاقية في نظمها.

أنها حضارة إنسانية وعالمية في هدفها ورسالتها.

أنها حضارة تحث على التسامح الديني.

أنها حضارة تشجع العلم وتحث عليه.

عقيدة التوحيد.

١-٢-٤-١. الحضارة الإسلامية ومنجزاتها

هناك مجموعة من الانجازات الحضارية في المجالات المختلف نذكر منها:^٢

الأدب: أثر الأدب الإسلامي فتأثر دانتى في (القصّة الإلهية)، برسالة الغفران للمعري واخذوا التخيلات و المجاز و الحماسة ف(الصباحات العشرة) لبوكاشيو تشبه ألف ليلة وليلة.

التشريع: ان القوانين في أوروبا تأثرت بالأحكام الفقهية، فنبليون تُرجم كتب مالك للفرنسية، فأساس القانون المدني كان (كتاب خليل) في فرنسا، وكذلك كتاب (المختصر في الفقه) ترجم للفرنسية.

الدينية: فالإصلاحات في الدين في أوروبا تأثرت بمبادئ الإسلام، بسبب الفتوحات.

الرياضيات: أن العلوم الجديدة أصولها اسلامية كالجبر وقدد اسسه الخوارزمي العالم الاسلامي.

الطب: كان علماء المسلمين يؤلفون المؤلفات الطبية يكتشفون كما ابن سينا في كتابه (القانون)، و(الحاوي) للرازي،

واستفاد الغرب من ذلك وترجموها للاتينية ودرّسوها في الجامعات.

الفلسفة: تأثر الغربيون بالفلسفة الاسلامية، ف (لوثر) تأثر بالمسلمين في الوحي العقيدة، اعتمدت الجامعات في اوربا

بما كتبه المسلمون.

١. السباعي، روائع الحضارة الإسلامية: ص ٦٥٤

٢. أشقر، دعوة لاستلهام إنجازات الحضارة: ص ٧٨٦

الفلك: عرف المسلمون كروية الأرض ودورانها، والأجرام في السماء.
العمارة: أبدعت المسلمون في العمران ودجمي بين الميكانيكا والرياضيات والهندسة، ومن الإسهامات المعمارية: بناء قبة كبيرة والأقواس فاخترعوا قوس حدوة الفرس والمشربيات والمقرنصات بتخفيف حدّة الشمس بحسابات معقّدة.^١

١-٢-٥. علماء المسلمين في الأندلس

أسّس المسلمون للحضارة في الأندلس وقدم العلماء المعرفة في المجالات المختلفة، فكانت عصر التنوير فقد برز القرطبي وهو محدثٌ وفقيه ومفسر للقرآن الكريم وفاته عام ١٢٧٣م وابن عبد ربه، ولد سنة ٢٤٦هـ في قرطبة في الأندلس، برع في، مثل: الحديث والفقه، والتفسير واللغويات، والأدب، والتاريخ، والشعر.
ابن أبي حجة، ولد بقرطبة تعلم القرآن الكريم ثم بدأ بتدريسه.^٢ هرب من قرطبة الى إشبيلية بعد وقوعها في أيدي الروم، وأسر وتعرض للتعذيب، وتوفي عام ٦٤٣هـ.^٣
في الطب
أسهم المسلمون في الطب في الأندلس وازدهر بما بذله العلماء بمجهود ودعم الحكومة خصوصاً في القرن العاشر في عهد عبد الرحمن الثالث.
ومن أهم العلماء في الطب بالأندلس:
أبو القاسم الزهراوي.^٤
ابن زهر،.^٥

١. السرجاني، فن العمارة في الحضارة الإسلامية: ص ١٢٤

٢. القرطبي، شبكة الألوكة: ص ٥٤٦

٣. القرطبي، شبكة الألوكة: ص ٤٥٧

٤.، هو أبو قاسم بن عباس الزهراوي المعروف عند الغرب باسم (الزهرافيوس أو البوقاسيس) ولد في مدينة الزهراء شمال غرب قرطبة عام ٩٣٦م، يعود نسبه إلى قبائل الأنصار في المدينة المنورة. اشتهر بعمله كونه طبيباً وجراحاً وصيدلياً، عمل في بلاط الخليفة بسبب غزارة علمه وتفوقه، ومن أشهر الكتب التي وضعها والذي يعد موسوعة في الطب: (التصريف لمن عجز عن التأليف) يتألف من ٣٠ جزءاً، ضمّ مختلف العلوم الطبية والجراحة والعلاج، توفي عام ١٠١٣م وكان عمره حينذاك ٧٧ عاماً.

٥. هو أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء، ولد في مدينة إشبيلية عام ١٠٩٠م، يعدّ من أهم وأبرز العلماء في الأندلس في مجال الطب والعلاج، حتى لُقّب بطبيب الخلافة الغربية، ترك العديد من المؤلفات القيمة والمهمة في مجال الطب والعلاجات، وعارض كثيراً ما ذهب إليه العالم ابن سينا في مجال الطب

علماء الفلك المسلمون في الأندلس
 الاهتمام في الأندلس كان بعلوم الفلك واضحاً لأهميته عند المسلمين، لتحديد أوقات الصلاة، والتقويمات الإسلامية
 فنشط الفلكيون من المسلمين، وعملوا بجدّ فأسسوا النظريات والمفاهيم في الفلكة.
 من أهم العلماء المسلمين في مجال الفلك:

المجريطي.^١

ابن حزم.^٢

ابن الزرقالي.^٣

علماء الجغرافيا المسلمين في الأندلس:

الشريف الإدريسي.^٤

١. هو أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي، ولد في عام ٩٥٠ في مدينة مجريط (مدريد الآن) وتوفي عام ١٠٠٧ في قرطبة، وهو عالم جليل في مجال الفلك والكيمياء والرياضيات والاقتصاد، شارك في ترجمة كتاب بطليموس، وأجرى تعديلاً على الجداول الفلكية التي وضعها الخوارزمي. أسهم في تحويل التواريخ الفارسية إلى الهجري. ١. كما كان أول من استخدم أكسيد الزئبق، فضلاً عن براعته في علم الرياضيات والفلك، فقد وضع العديد من الكتب عن الاقتصاد والضرائب في الأندلس

٢. هو كامل أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ولد في قرطبة عام ٩٩٤هـ، مؤرخ وفقيه وعالم، اشتهر باتساع علمه ومعرفته في مختلف المجالات العلمية والأدبية. ٢. تلقى فيها تعليمًا جيّدًا، كان والده وجده يعملان في بلاط الخليفة الأموي، وبعد سقوط الدولة الأموية تعرّض للكثير من الضيق، وسجن بسبب دعمه للأمويين، ينسب إليه وضع ما يقارب ٤٠٠ عمل في مختلف العلوم، ولكن لم يبق منها سوى ٤٠ مؤلفاً في مجال الفقه والمنطق والطب والتاريخ والدين المقارن وغيرها من العلوم

٣. هو أبو إسحاق إبراهيم ابن يحيى الملقب بالزرقاني، ولد في الربع الأول من القرن الحادي عشر، كانت عائلته من الحرفين وهو الأمر الذي قاده للعمل في صنع الأدوات الدقيقة التي تستخدم في الفلك، فبرع في هذا المجال، وتمكّن من صناعة ساعة طليطلة المائية، انتقل للعيش في مدينة قرطبة بعد أن تعرضت مدينته للهجوم والغزو. ٣. عمل الزرقاني في عدة مجالات منها: النظريات الفلكية، وحركة النجوم وتطويرها، والجداول الفلكية، وعمل الأدوات الفلكية، وكل ما يتعلق بالسحر. ٣. أشهر علماء الأندلس المسلمين في الجغرافيا كان علماء الجغرافيا المسلمون في الأندلس يعملون وفقاً للمفاهيم والنظريات العامة التي جرى وضعها من قبل اليونان والرومان، وخاصة كتاب الجغرافية لبطليموس ولكنهم سرعان ما تجاوزوا هذا الأمر وعملوا على وضع مفاهيمهم ونظرياتهم الخاصة بها، وساعدهم في ذلك ما كانوا قد توصلوا إليه من تقدم في مجال الرياضيات والفلك

٤. هو كامل أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسائي الإدريسي، وكان يلقب بالشريف الإدريسي، ولد عام ١١٠٠م في مدينة سبتة في المغرب، وتوفي في ١١٦٥م. وهو من أعظم العلماء العرب المسلمين في مجال الجغرافيا، قضى معظم حياته في التنقل بين شمال أفريقيا

أبو عبيد البكري.^١

أشهر علماء الأندلس المسلمين في الهندسة

ابن السمع، هو أبو القاسم أصبغ بن محمد بن السمع، ولد عام ٩٧٩م وتوفي عام ١٠٣٥م في مدينة قرطبة، واشتهر باسم المهندس، وقد كان عالماً في الرياضيات والفلك في بلاد الأندلس. غادر باتجاه مدينة غرناطة؛ إذ عاش فيها بقية حياته، وهناك بدأ العمل في الفلك والطب والرياضيات، ووضع العديد من المؤلفات في مجال الرياضيات والهندسة؛ حيث وضع العديد من النظريات، وحل المعادلات التربيعية والتكعيبية، وكل ما يتعلق بالخطوط المنحنية والمستقيمة عباس بن فرناس، وُلد عام ٨١٠ في مدينة روندا بالقرب من مالقة، حصل على تعليم جيد في مختلف العلوم، ثم غادر إلى قرطبة وهناك برز كعالم ومخترع. كانت له العديد من الإسهامات في مجال الفلسفة، والرياضيات، والهندسة، والفلك، والكيمياء، والشعر، وغيرها من العلوم، حتى لُقّب بـ (حكيم الأندلس)، وكان إنجازاته الأكبر في مجال الطيران، عندما أقدم على القفز من برج مسجد قرطبة، مستخدماً المظلة التي صنعها بنفسه

وإسبانيا، وهو الأمر الذي أهّله للحصول إلى كبر قدر من المعلومات عن تلك البلدان، وقد درس في قرطبة، ومن أهم الكتب التي وضعها: نزهة المشتاق في اختيار الآفاق

١. هو أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمر البكريويلقب بالبكري، ولد عام ١٠١٤م وتوفي في عام ١٠٩٤م، اشتهر بعلمه الغزير في مجال الجغرافيا، كان والده حاكماً ولكنه لم يستمر طويلاً؛ إذ تم خلع فرحل مع والده إلى قرطبة، وهناك بدأ الدراسة في مجال الجغرافيا مع العالم ابن حيان. ألف البكري العديد من الكتب عن أوروبا ومناطق شمال أفريقيا وشبه الجزيرة العربية، ومن أهم مؤلفاته: كتاب المسالك والممالك لعام ١٠٦٨م؛ حيث ضم الكثير من المعلومات عن غانا وسلالة المرابطين وطرق التجارة من خلال الصحرا

الفصل الثاني: الدور العلمي للعلماء الاندلسيين في ازدهار الحضارة الاسلامية في الفترة الاموية في مجال الإجتماع



٢-١. مقدمة

الدولة الأموية في الأندلس إمارة إسلامية أسسها عبد الرحمن بن معاوية الأموي عام ١٣٨ هـ/٧٥٦ م في الأندلس وأجزاء من شمال أفريقيا وكانت عاصمتها قرطبة، وتحولت إلى خلافة بإعلان عبد الرحمن الناصر لدين الله نفسه في ذي الحجة ٣١٦ هـ/يناير ٩٢٩ م خليفة قرطبة بدلاً من لقبه السابق أمير قرطبة،^١ وهو اللقب الذي حمله الأمراء الأمويون منذ أن استقلَّ عبد الرحمن الداخل بالأندلس. تأسست هذه الدولة نتيجة سقوط الدولة الأموية في المشرق على يد بني العباس، الذين أخذوا بعد قيام دولتهم بملاحقة بني أمية وقتلهم، ولذلك فقد فرَّ الكثير منهم بعيداً محاولين النجاة بأنفسهم. وقد كان من بين هؤلاء عبد الرحمن الداخل، الذي فرَّ إلى الأندلس، وأعلن استقلاله بها وقد تمكَّن الأمويون من البقاء بهذه الطريقة، فأسسوا دولتهم الجديدة في الأندلس، وظلُّوا يحكمونها زهاء ثلاثة قرون.^٢ عُرف عبد الرحمن بن معاوية باسم عبد الرحمن الداخل، كونه دخل (أي هاجر) إلى الأندلس، ومُنذُ أن تسلَّم الحكم حتَّى دخل المسلمون في الأندلس في عهدٍ جديدٍ قائمٍ على أسسٍ سياسيةٍ بعيدةٍ عن الغنصية والقبلية من واقع تحجيم نفوذ زعماء القبائل وإحلال سلطة الدولة مُثَّلة بالأمير، محل سلطة القبائل، وبدأت الأندلس تسير في طريق اكتساب الحضارة.^٤

٢-٢-١. المظاهر الاجتماعية

٢-٢-١-١. الدين

اتصف أهل الأندلس بالتدين والمحافظة على الشعائر الدينية إلا القليلين، وقد انتشر بينهم في البداية مذهب الأوزاعي الذي كان منتشرًا بين أهل الشام والذي دخل الأندلس وساد فيها منذ الفتح، إلى أن رحل جماعة من فقهاء الأندلس منهم زياد بن عبد الرحمن اللخمي وعيسى بن دينار ويحيى بن يحيى الليثي وعبد الملك بن حبيب السلمي.^٥ إلى المشرق، وعادوا من الشرق في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن بمذهب مالك، ونشروه حتى انتقلت الفتيا من مذهب الأوزاعي إلى مذهب مالك في عهد الأمير الحكم بن هشام. وفي عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، أدخل القاسم بن محمد بن سيَّار المذهب الشافعي إلى الأندلس، والذي بذل تلاميذه وأبرزهم بقي بن مخلد جهدًا لنشره، إلا أنه لم يلق قبولاً في الأندلس.^٦

١. ابن حزم، رسائل: ص ٦٣

٢. ابن عذاري، البيان مغرب: ج ٢، ص ١٩٨

٣. السرجاني، قصة الإسلام: ص ٤٥

٤. طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس: ص ٤٨٥

٥. عنان، دولة الإسلام: ج ١، ١٩٩٧، ٦٩٢

٦. دواتي، دويدار: ص ١٤٦

إلا أن مذهب آخر وجد سبيله إلى الأندلس أيضًا في عهد محمد بن عبد الرحمن على يد عبد الله بن قاسم القيسي،^١ ولقى استحسان الكثير من الأندلسيين، ألا وهو المذهب الظاهري والذي اشتهر من أئمته في الأندلس المنذر بن سعيد البلوطي وابن حزم.^٢ كانت محاولات لنشر التشيع بائت بالفشل.^٣ وهناك محاولات لنشر المعتزلة من أتباعه كابن مسرة،^٤ لكنه فشل لميل الناس للمالكية. فق اهتم الأندلسيون بالحديث، وبرز محدّثين كبن وضاح و بن أصبغ و بن أيمن. واهتم الأندلسيون بالقرآن وبرز منهم الأقلشبي^٥ والداني،^٦ وفي التفسير بن مخلد.

أما عن المسيحيين واليهود، بمعاملة خاصة مكنتهم من حرية الدين والمعتقد، حتى أن قضاياهم كان لهم حق الفصل بها بموافقة من السلطة الإسلامية العليا. فكان يسمح بتطبيق شرائعهم على يد قضاةم الذين كانوا يعرفون بقضاة النصارى أو قضاة العجم، وتحت مسؤولية رئيس طائفتهم الذي كان يحمل لقب القومس،^٧ أما الخلافات التي كانت تقع بينهم وبين المسلمين، فكانت تعرض على القضاء الإسلامي،^٨ فكثرت كنائسهم في كل الأندلس ما بين القرن الثامن والثاني عشر، سواء في المدن الكبرى أو الصغرى. ومن أشهر هذه كنائسهم أيام الخلافة، الكنيسة العظمى بقرطبة، ومن أشهر الأديرة الواقعة في أطراف المدينة دير أرملاط، ولم تهدم الكنائس في الأندلس، إلا في حالات خاصة كأن تكون الكنيسة معقلاً للثورة على السلطة، كهدم بعض الكنائس خلال ثورة ابن حفصون. كما كانت الأناجيل أيضًا شائعة يطالعها المسيحي وغير المسيحي، وقد أفاد منها ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل، حيث ذكر أنه كان يصاحب رجال الكنيسة ويجادلهم. كما ظلت سلطة اليهود ومقاليدهم أمورهم الدينية الخاصة بهم بين أيديهم، فقد جرت العادة على تعيين السلطة لمن يتولى رئاستهم والذي كان يعرف بـ الناجد أو الحاخام، كما كان يتولى قضائهم بينهم شيخ اليهود فيما يخص أمورهم الخاصة وتشريعهم، ويكون هذا الشيخ نفسه هو الواسطة بينهم وبين السلطة المدنية، وقد تمتع اليهود، في ظل هذه الحرية، بالسماح لهم ببناء دور عبادتهم في أحيائهم الخاصة وكذلك بين السكان المسلمين. أتاحت تلك الحرية الفكرية لأبناء

١. دواتي، دويدار: ص ١٥٨

٢. دواتي، دويدار: ص ١٧٤

٣. دواتي، دويدار: ص ١٧٤

٤. ابن مسرة، الموسوعة العربية: ص ١٢٥

٥. ابن بشكوال، صله الاروشى: ص ٦٦

٦. ابن بشكوال، صله الاروشى: ص ٥٦٣

٧. دواتي، دويدار: ص ١٧٥

٨. الأندلسي، مكونات المجتمع الأندلسي: ٤٥٦

الأندلس من غير المسلمين الفرصة في التعمق في دراساتهم الدينية، فأسس حسداي بن شبروط الطبيب الخاص للخليفة عبد الرحمن الناصر مدرسة للدراسات التلمودية في قرطبة، كما وضع ابن حيوج الأسس الأولى لعلم النحو العبري.

٢-٢-١-٢. عناصر المجتمع

كان المجتمع الأندلسي خليطاً من أجناس مختلفة امتزجت في بوتقة المجتمع الأندلسي لتتكون منها الشخصية الأندلسية المستقلة. وقد كانت عناصر المجتمع الأندلسي كالتالي:

العرب: دخل العرب إلى الأندلس في موجات متعاقبة، إلا أن أبرزها كان ما يسمى بطالعة موسى وهم الجند الغازي الذين دخل الأندلس بصحبة موسى بن نصير عام ٩٣ هـ، والذين كانوا من العرب القيسية واليمانية، والذين انتشروا في الأندلس فسكنت القيسية في نواحي الجنوب، وتوزعت اليمانية بين المناطق الشمالية والشمالية الغربية.^١ كان أبرز الهجرات العربية التالية طالعة بلج بن بشر القشيري، وهم الجند الذين بعثهم الخليفة هشام بن عبد الملك إلى المغرب للقضاء على ثورة البربر هناك، ثم استعان بهم عبد الملك بن قطن الفهري والي الأندلس عام ١٢٢ هـ للقضاء على ثورة البربر في شمال الأندلس، واستقروا بها،^٢ والذين كان معظمهم من القيسيين، ودخلوا بعد فترة وجيزة في صراع مع عبد الملك بن قطن واليمانية، وخلعوه وسيطروا على قرطبة، إلى أن وزعهم أبو الخطار الكلبي على كور الأندلس، فأسكنهم جيان وباجة وأكشونية وبعض نواحي تدمير وشذونة والجزيرة وإشبيلية ولبلة ورية وإلبيرة.^٣ غلبت النزعة القبلية على عرب الأندلس، وشكلوا النواة الارستقراطية والبرجوازية بالمدن،^٤ فتقلدوا مراتب الوزارة والكتابة والقضاء والشرطة والحسبة وبيت المال وضرب السكة. أما عامتهم فقد احترفوا الزراعة ونسج الحرير والغزل والنسيج والتجارة فيهما، وبيع العطر والشمع والفاكهة والخضر والخبز.

البربر: كان البربر يمثلون معظم الجيش الفاتح للأندلس مع طارق بن زياد.^٥ ونظراً لقرب مساكنهم من الأندلس، توالى هجراتهم إليها أن علموا بنجاح الفتح،^٦ وخاصة من قبائل زناتة. وبعد أن انتهج العامريون سياسة تقريب البربر والاعتماد عليهم كعماد للجيش بدلاً من العرب والصقالبة، هاجرت جموع كبيرة من البربر إلى الأندلس خاصة من بطون صنهاجة، ولعبوا دوراً كبيراً في فترة الفتنة. اختار البربر النزول في المناطق الجبلية في الأندلس في الجنوب والوسط والغرب لتقاربها مع

١. جاجرمي، مؤنس الاحرار: ص ٤٠٠؛ أكروز، زيتون: ص ٢٦؛ عنان، دولة الإسلام: ج ١، ص ١٧٦

٢. ابن عذاري، البيان مغرب: ج ٢، ص ٣٠

٣. ابن الأبار، الحلة السيرة: ج ١، ص ٦١

٤. دواتي، دويدار: ص ١٩

٥. ابن عذاري، البيان مغرب: ج ٢، ص ٦

٦. مؤنس، الخلافة والرفاه: ص ٤٢٠

طبيعة بلادهم.^١ وقد امتنهن من سكن المدن منهم الحرف اليدوية والصيد والسقاية والبناء، فيما امتنهن سكان البوادي جلب البقر والسمن والزيت والعسل والصوف والدجاج والفواكه والفحم والخشب، وبيعها في المدن.

الموالي والصقالبة: لعب الموالي دوراً كبيراً في تأسيس الدولة الأموية في الأندلس بما قدموه من دعم لعبد الرحمن الداخل عند دخوله الأندلس. أصبح تأثير الموالي مؤثراً منذ أن دخل ألفان مولى من أصل عشرة آلاف رجل إلى الأندلس في طاعة بلج. وقد اعتمد عليهم الأمويون في بداية دولتهم في الأندلس،^٢ وظلت أسر منهم تستأثر بالمناصب لدى الأمراء والخلفاء كبنى جهور وبنى أبي عبدة. أما الصقالبة فهم الخدم والمماليك الذين جلبهم النخاسون الجرمان واليهود من أسرى حروب الجرمان مع الصقالبة، وباعوهم في الأندلس. وكثر عدد الصقالبة أيام الخلافة، حيث كانوا يستخدمون كخدم وجنود،^٣ وصار لهم تأثير كبير، خصوصاً وأنهم كانوا في خدمة أصحاب القرار، وقادة للجيش، وكانت لهم مؤامراتهم داخل القصور كمحاولة فائق وجوذر كبيراً صقالبة قصر الخلافة بعد وفاة الحكم المستنصر لتتجه المؤيد، وتولية أخيه المغيرة الذي نجح الحاجب جعفر المصحفي بمعاونة بن أبي عامر لابطال مخططهم،^٤ واستخدموا لقمع ثورة أهل الربض في عهد الحكم الرضي.^٥ وإلى جانب الخدمة في القصور، اشتغل الموالي والصقالبة في الحياكة والنسيج وسبك الحديد وصنع آلات الحرب والصباغة والتجارة، وتجارة النعال والجلاليب واللحم وضرب الطبول والقيام بالمساجد والأذان ورصد الوقت ودفن الموتى وحفر القبور وحراسة الأسواق ليلاً وحراسة الفنادق وحمل السلع من بلد إلى بلد.^٦

المستعربون: هم المسيحيون الذين بقوا على دينهم بعد فتح الأندلس، وعاشوا في كنف دولة المسلمين. كان المسلمون يسموهم بعجم الأندلس،^٧ إلا أنه ومنذ القرن الحادي عشر الميلادي، أطلق عليهم لقب المستعربون وهو لقب استخدمه مسيحيو الممالك الشمالية لتمييز هؤلاء المسيحيين الذين تأثروا بالمسلمين ثقافياً ولغياً وأسلوب حياة، فكانت لهم طقوسهم الدينية الخاصة ورجال دين خاصون بهم، بل وكانوا يستخدمون لغة خاصة بهم،^٨ ظلت تستخدم كلغة منطوقة حتى القرن

١. مؤنس، الخلافة والرفاهية: ص ٤٢٩

٢. ابن القوطية، تصارييف الافعال: ص ٤٠

٣. ابن الأبار، الحلة السيرة: ج ١، ص ٤٥٦

٤. عنان، دولة الإسلام: ج ١، ص ٥١٨

٥. ابن عذاري، البيان مغرب: ج ٢، ١٩٨٠، ص ٧٧

٦. الأندلسي، مكونات المجتمع الأندلسي ومكانة أهل الذمة فيه: ص ٥٢

٧. ابن القوطية، تصارييف الافعال: ص ٣١

٨. مؤنس، الخلافة والرفاهية: ص ٤٦١

الرابع عشر. وخلال فترة الحكم الأموي، استخدمهم الأمويون في إدارة بعض شئون البلاد الاقتصادية وتنظيم الدولة. أما عوامهم فقد امتهنوا الزراعة وتربية الماشية وقطع الأخشاب وصناعة الفحم وصيد الأسماك وصناعة السفن وآلاتها. المولدون: هم سكان الأندلس الأصليون الذين اعتنقوا الإسلام وأبناء العرب والبربر من أمهات إسبانيات.^١ لم يكن هناك فرق بين وضعهم العام والمسلمين الأصل.^٢ وبرزت بيوتات كبنى قسي وبنو الطويل في الثغر الأعلى، وكان منهم العلماء كابن القوطية.^٣ إلا أن قطاعًا منهم كانت لهم نزعاتهم العنصرية ضد العرب، وكانوا يثورون على سلطة الدولة في فترات ضعفها كابن حفصون وابن مروان الجليقي.^٤ وقد امتهنت تلك الطائفة الزراعة والتجارة، واستخدمهم الأمويون في بعض المناصب الإدارية.

اليهود: عاش اليهود في العديد من المدن كقرطبة وإشبيلية ولسيانية وغرناطة وطليطلة وقلعة حماد وسرقسطة وطركونة وطرطوشة. وامتهنوا الخياطة والصباغة والحجامة والدلالة في الأسواق وصناعة الصابون وتجارة الحلي والأصواف والكتان وآلات الطرب، وتجارة العبيد والحرير والتوابل.^٥

٢-٢-١-٣. الأدب

لم يقتصر اهتمام الأندلسيين على العلوم الدينية فقط، فاهتموا بالعديد من ألوان الأدب كالشعر والنثر وعلوم اللغة والتاريخ وكتب السير والتراجم، وقد برزت أسماء كثيرة في تلك الفنون في عهد الدولة الأموية في الأندلس. ففي فن الكتابة الأدبية، لمع ابن عبد ربه وكتابه العقد الفريد الذي كان بمثابة موسوعة ثقافية تبين أحوال الحضارة الإسلامية في عصره،^٦ وتناول فيه السياسة وفنون الحرب والنوادر وفضائل العرب والخطب والحديث واللغة والتاريخ والشعر وطبائع البشر وألوان الملابس والطعام.^١ وبرز أيضًا ابن شهيد صاحب رسالة التواضع والزواجر ذات الإطار الخيالي الخصب.^٧ وفي فن الخطابة ذي التأثير الديني والسياسي،^٨ برع المنذر بن سعيد البلوطي الذي كانت لخطبته التي ارتجلها أمام سفارة قيصر بيزنطة إلى الخليفة

١. دواتي، دويدار: ص ٤١

٢. مؤنس، الخلفاء والرصافة: ص ٤٦٤

٣. دواتي، دويدار: ص ٤٣

٤. دواتي، دويدار: ص ٤١

٥. دواتي، دويدار: ص ٤٨

٦. ابن عبد، ثقافة وفن: ص ١٢٣

٧. ابن عبد، ثقافة وفن: ص ٢٥٨

٨. الأندلسي، على موقع واي باك مشين: ص ٥٢

عبد الرحمن الناصر عام ٣٣٦ هـ، أثرها في ظهوره على الساحة الأندلسية كفقيه وخطيب مفعو^١. وفي علوم اللغة والنحو، بعد أن دخل جودي بن عثمان الموروري بكتب الكسائي، اهتم الأندلسيون بعلم النحو، كما كان لانتقال أبي علي القالي من العراق للأندلس دوره في ذبوع علوم اللغة وأشعار الشرق في الأندلس^٢. وقد ألف الأندلسيون كتباً في علوم اللغة، بل وخاضوا في مواضيع لم يسبقهم إليها أحد ككتاب تصارييف الأفعال لابن القوطية وهو أول كتاب يتناول الأفعال الثلاثية والرباعية^٣.

أما الشعر، فقد كان أثر الشرق واضحاً فيه حيث تأثر شعر الأندلس بشعر الشرق، فظهر أثر شعراء الزهد كأبي العتاهية على أشعار ابن أبي زمنين وابن عبد ربه وأبي بكر الزبيدي وغيرهم، وشعراء الغزل والمديح والفخر والحماسة كأبي نواس وأبي تمام وابن الرومي والمتنبي وابن المعتز، والذين ظهر أثرهم جلياً في شعر يحيى الغزال وابن دراج القسطلبي وابن هانئ. وظل الشعر الأندلسي بلا إبداع محاكياً لشعر الشرق وغير مصقول^٤، فقيراً من الناحية الذهنية التفكيرية، مكبلاً بقيود الجوانب الشكلية الجامدة. ولم تسبق الأندلس الشرق في ألوان الأدب إلا في فن الموشحات الذي ابتكره مقدم بن معافى القبري^٥، والذي أصبح بحلول القرن الرابع الهجري أشهر أشكال الأدب في الأندلس، كما أنها تعتبر فن أندلسي خالص^٦. ويعد ابن عبد ربه وعبادة بن ماء السماء ويوسف بن هارون الرمادي أشهر وشاحو عصر الدولة الأموية في الأندلس^٧.

٢-٢-١-٤. أهل البيت عليهم السلام في الأدب العربي في الأندلس

يعتبر هذا الموضوع من المواضيع المهمة و الجديرة بالذكر فيما يخص الأندلس و من خلال مراجعة المضاددر التاريخية الإصليية القديمة نرى ان للأئمة المعصومين عليهم السلام مكانة شامخة في الأدب العربي في الأندلس. الأدب العربي في شبه الجزيرة الأيبيرية أثناء وجود المسلمين في الأندلس هو إرث دائم للحضارة الإسلامية ولغة بليغة وجسم حي ووجود مكتوب للثقافة الإسلامية، ويخصص حجم كبير وجزء أساسي من هذا الأدب ل مفهوم أهل البيت وله دور مادي دائم في الأعمال الإسلامية في الأندلس.

١. عنان، دولة الإسلام: ج ١ ، ص ٤٥٥

٢. عناني، دولة الإسلام: ص ٤٢

٣. الزركلي، الاعلام: ج ٦، ص ٣١١

٤. عباس، تاريخ الأدب الأندلسي: ج ٢، ص ٤٥؛ المقرئ، نفح الطيب: ج ٧، ص ٦

٥. المقرئ، نفح الطيب: ج ٧، ص ٦

٦. عناني، دولة الإسلام: ص ١٦٧

٧. عناني، دولة الإسلام: ص ١٧٠

مكانة المذهب الشيعي في الأدب العربي تحدده في الغالب مؤلفات أهل البيت في النصوص الإسلامية وأعمال علماء الأندلس، وهي من أهم موضوعات الدراسات الشيعية، وكلمة أهل البيت ومفهومهم حقيقة إسلامية. كانت مدرجة في المصطلحات السياسية والاجتماعية والثقافية والتاريخية قبل ظهور الطوائف والأديان.

ابن أبار وابن الخطيب وابن منظور ومحي الدين عربي وابن مسرة وابن عبدون وابن هاني من عظماء الأندلسيين الذين ذكروا أهل البيت وأشادوا بهم في أعمالهم. على الرغم من الظروف غير المستقرة للتشيع ومنع انتشاره في الأندلس، فإن اسم وذاكرة آل البيت دائم في الأدب الأندلسي.

في هذا المجال هناك بعض الكتب و المقالات العلمية كتبت حول هذه المسألة المهمة من الباحثين المعاصرين و بشكل خاص يمكن التطرق الى كتاب أهل البيت عليهم السلام في النصوص الإسلامية في الأندلس باللغة الفارسية (اهل بيت در متون اسلامي اندلس).^١ هذا العمل هو ثمرة جهود الدكتور محمد رضا شهيدي باك من عام ١٣٧٨ ش حتى الآن في دراسة التراث الشيعي المكتوب بين النصوص الإسلامية الأندلسية، والذي أنشأه علماء وعلماء الشيعة الأندلسيون. كما يمكن الاشارة الى بحث علمي منشور باللغة الفارسية تحت عنوان: (اهل بيت در آثار دانشمندان آندلس: أهل البيت عليهم السلام في تراث العلماء الأندلسيين) للمؤلف الدكتور محمدرضا شهيدي باك.^٢

٢-٢-١-٥. العمارة

اهتم الأمويون بالعمارة في الأندلس، فبنوا القصبات والحصون والأسوار والأبواب وأسسوا المدن، كما اهتموا ببناء المساجد والقصور والحمامات والقباب والقناطر المائية التي زينوها بالزخارف والنقوش. استفاد الأندلسيون مما حملوه معهم من فن العمارة الإسلامية من الشرق، ومزجوه مع ما وجدوه في الأندلس من عمارة رومانية وقوطية، فأنتجوا خليطاً متميزاً ميّز فن العمارة الأندلسي، وجعله فناً مستقلاً له خصائصه الخاصة التي تميزه.^٣ ورغم مرور نحو ألف عام منذ سقوط الدولة الأموية في الأندلس، إلا أنه ما زالت هناك العديد من الآثار الخالدة التي تشهد على عظمة فن العمارة الأندلسي في عصر الدولة الأموية في الأندلس.

يعد الجامع الكبير في قرطبة دُرّة العمارة الدينية في عهد الدولة الأموية في الأندلس، فما زال خالداً ليشهد على عظمة الفن الأندلسي في تلك الفترة. أنشأه عبد الرحمن الداخل سنة ١٧٠ هـ/٧٨٦م محل كنيسة قوطية، وأراد عبد الرحمن الداخل

١. شهيدي، في النصوص الإسلامية في الأندلس: ص ١٣٩

٢. شهيدي، اهل بيت در آثار دانشمندان آندلس: ص ٢٣٥

٣. أمين، البلاط: ج ٣، ص ٣٠٢

أن يكون أعظم مساجد الأندلس وأفخمها.^١ أنفق الداخل ٨٠ ألف دينار على بنائه، واشترى أرضاً من مسيحي قرطبة بمئة ألف دينار ليضمها إلى الجامع، إلا أنه مات قبل أن يكتمل بنائه، الذي اكتمل في عهد ابنه هشام الرضا.^٢ تمت توسعة الجامع عدة مرات أولها في عهد عبد الرحمن الأوسط التي أتمها ابنه محمد بن عبد الرحمن.^٣ كما قام الأمير المنذر بن محمد بترميم ما وهي من بنائه،^٤ وأضاف الحكم المستنصر بالله إليه زيادة لما ضاق المسجد بأهل قرطبة في عهده،^٥ وكذلك فعل محمد بن أبي عامر،^٦ حتى بلغ عدد سواريه ١٤١٧ سارية وثراياه ٢٨٠ ثرية وأبوابه ٢١ باباً.^٧ وبلغ طوله ١٨٠ م وعرضه ١٣٥ م بارتفاع ١٢ م.^٨ استوحي بناء الجامع من تصميم الجامع الأموي في دمشق، وكان يربطه بقصر الخلافة ممراً مسقوفاً لوصول الأمير إلى الجامع مباشرة بعيداً عن أعين العامة. وقد أضيف الجامع إلى مواقع التراث العالمي عام ١٩٨٤.

ومن آثار العمارة الدينية أيضاً، مسجد إشبيلية الذي بني في عهد عبد الرحمن بن الحكم عام ٢١٤ هـ/٨٣٠ م،^٩ الذي تعرض لبعض الأضرار نتيجة غزو النورمان لإشبيلية عام ٢٣٠ هـ/٨٤٤ م، كما تأثر بزلزال عام ٤٧٢ هـ/١٠٧٩ م، إلا أنه وبعد سقوط المدينة في يد الإسبان عام ١٢٤٦ م، تم تحويله إلى كنيسة، وفي عام ١٦٧١ م تم هدمه وبناء كنيسة جديدة في مكانه، ولم يبق منه إلا أجزاء من صحن المسجد ومئذنته،^{١٠} وباب المسجد الرئيسي الذي يبلغ طوله ١٠ أمتار وعرضه ٥ أمتار، ويعرف الآن بباب الغفران (بالإسبانية: Perdón del Puerta).^{١١} ومن الآثار المعمارية الباقية أيضاً مسجد باب المردوم بطليطلة الذي بناه قاضي طليطلة أحمد بن حديدي عام ٣٩٠ هـ/٩٩٩ م، وقد تحول المسجد أيضاً إلى كنيسة Luz la de Cristo [١٦٨] بعد أن استولى ألفونسو السادس ملك قشتالة على المدينة عام ١٠٨٥ م.^{١٢} وأجزاء من

١. عنان، الآثار الأندلسية: ص ٤٥٦؛ المقرئ، نفح الطيب: ج ١: ص ٥٤٦

٢. المقرئ، نفح الطيب: ج ١، ص ٥٤٥

٣. ابن القوطية، تصانيف الافعال: ص ٨٨

٤. المقرئ، نفح الطيب: ج ١، ص ٥٦١

٥. ابن عذاري، البيان مغرب: ج ٢، ص ٢٣٤

٦. ابن عذاري، البيان مغرب: ج ٢، ١٩٨٠، ص ٢٨٧

٧. المقرئ، نفح الطيب: ج ١، ص ١٢٥

٨. عنان، الآثار الأندلسية: ص ٢٢

٩. عنان، الآثار الأندلسية: ص ٩٥

١٠. دواتي، دويدار: ٢١٩

١١. عنان، الآثار الأندلسية: ص ٩٧

١٢. دواتي، دويدار: ٢٢١

المسجد الجامع في مدينة الزهراء الذي بناه عبد الرحمن الناصر لدين الله عام ٣٢٩ هـ / ٩٤١ م، والذي لا تزال أطلاله باقية إلى الآن.^١

وكما اهتم الأمويون بالعمارة الدينية، اهتموا أيضاً بالعمارة المدنية، فقد اعتنوا ببناء القصور كقصور الخلافة والرفافة والمؤنس في قرطبة، وشيّدوا المدن لتكون مراكز للحكم والإدارة كالزهراء التي أسسها عبد الرحمن الناصر لدين الله عام ٣٢٥ هـ / ٩٣٦ م والزهرة التي بناها محمد بن أبي عامر عام ٣٦٨ هـ / ٩٧٨ م^٢ ومرسية التي بناها عبد الرحمن بن الحكم، لتكون قاعدة لكورة تدمير^٣. بلغت الزهراء التي كانت مقراً لحكم الأمويين لأربعين عاماً في عهدي عبد الرحمن الناصر لدين الله وابنه الحكم المستنصر بالله شأواً عظيماً، فضمت الزهراء قاعات احتفال ومساجد ودور حكومية وحدائق ودار لسك العملة وورش للعمال، وثكنات ومسكن للجند وحمامات، كما تم إمدادها بالمياه عبر قنوات. وقد امتد العمارة في مباني قرطبة والزهراء والزهرة حتى اتصلت، فكان يُمشى فيها لعشرة أميال على ضوء السُرُج^٤.

٢-٢-٢. الابداع في العمارة والبناء للعلماء الاندلس

ذكرنا سابقاً أن الحقبة التي حكم بها المسلمون تميزت بتطور كبير في مختلف مناحي الحياة، وخصوصاً في فن الهندسة والعمارة والبناء، وعلى صعيد التطور الاجتماعي، حيث سيتم التطرق إلى أهم ما أبدعه الأندلسيون في هذا المجال، وهو على النحو التالي:

تطور الفن الأندلسي، واتخذ له طابعا أصيلاً مميزاً، وكان للاتصال بالشرق بين القرنين الثاني والتاسع الهجريين أثره في هذا التطور^٥، وهناك بعض الآثار التي تدل على هذه الأصالة التي لا نجد لها في أي بلد إسلامي آخر^٦، و اتسم عصر الإمارة الأموية في الأندلس والذي استمر نحو (١٧٨ سنة) بالاستقرار السياسي في غالب المدن الأندلسية، فساعد هذا كثيراً في تطور حركة العمران التي أظهرت مدى التقدم الحضاري في الأندلس^٧، وما حققه المسلمون في الأندلس من تطور بفضل

١. عنان، الآثار الأندلسية: ص ٣٦

٢. ابن عذاري، البيان مغرب: ج ٢، ص ٢٩٨

٣. ابن عذاري، البيان مغرب: ج ٢، ١٩٨٠، ص ٨٢

٤. المقرئ، نفح الطيب: ج ٣، ص ٢١٦

٥. كولان، الأندلس لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية: ص ١٥١

٦. كولان، الأندلس لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية: ص ١٥١

٧. ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون: ص ٣٧٨



فكرهم المبدع، ولم تستطع شعوباً كثيرة أخرى أن تحققه،^١ فكان للفن المعماري الإسلامي طابعه المميز الذي يستطيع الإنسان معرفته وتمييزه بسهولة،^٢ ومن أبرز مظاهر هذا الفن المعماري ما يأتي:

برج فلهرة، و صرح يسمى بالنصر، كان قلعة في أيام المسلمين في مدينة ألس، وهي بقرب تدمير، وكذلك اختط المسلمون مدينة تطيلة الحصينة عسكرياً، والتي يوجد بها كتدرائية جميلة، أقيمت على أنقاض مسجد أقيم في القرن التاسع الميلادي.^٣ واختط الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨ هـ - ٨٢٢-٨٥٢ م) مدينة أبدة، والتي عرفت بأبدة العرب،^٤ ولكنها اكتملت في عصر ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن، الذي كان شغوفاً بتشديد المباني حباً منه في البنين والإتقان فيه، ساهيا في الإنفاق عليه.^٥

ومن المدن التي تم تشييدها مدينة مرسية، وهي مدينة محدثة إسلامية، تعد قاعدة تدمير^٦ وتقع في شرق الأندلس، أمر ببنائها الأمير عبد الرحمن بن الحكم،^٧ وكان لمدينة مرسية عدة ومنتزهات، ومنها جبل أيل تحت البساتين، وهي تشبه في هذا الوصف مدينة اشبيلية في غرب الأندلس،^٨ وكانت مبانيها منخفضة ذات طبقتين أو ثلاث، وهي في مستوى من الأرض تحيط بها الحدائق من كل جانب، وفي جنوبها سلسلة من التلال العالية، ولها حصون وقلاع، وبينها وبين قرطبة عشر مراحل،^٩ وكان من أكبر مبانيها هو ميدان الدستور الجميل.^{١٠} وكما اختط المسلمون مدينة مجريط، التي تم بناؤها في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣ هـ).^{١١}

١. هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب ترفاروق بيضون: ص ١٦٧

٢. فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة: ص ١٥١

٣. فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة: ص ١٥١

٤. ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج ٥، ص ٢١٨؛ الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس: ص ٣٩؛ أبو الفداء، تقويم البلدان: ص ١٧٩

٥. القرطبي، المقتبس في أخبار بلاد الأندلس: ص ٢٢٦

٦. تدمير، كورة بالأندلس تتصل بأحواز كورة حيان وهي شرقي قرطبة، ولها معادن كثيرة ومعقل ومدن ورساتيق، بينهما وبين قرطبة سبعة أيام للراكب القاصد؛ الحموي، معجم: ج ٢، ص ١٩

٧. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار: ص ٥٣٩؛ ابن علي، تقويم البلدان: ص ١٧٩

٨. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار: ص ٥٣٩؛ ابن علي، تقويم البلدان: ص ١٧٩

٩. أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية: ج ١، ص ٢٠٢

١٠. عنان، الآثار الباقية في أسبانيا: ص ٩٩

١١. ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج ٥، ص ٢١٨

وهي حصن دفاعي أنشئ لأغراض عسكرية، ثم تحول إلى مدينة جميلة عظيمة الإنشاء^١ ووصف المؤرخون تلك المدينة بأنها قلعة منيعة وحصينة، وكان لها مسجد جامع وخطبة قائمة،^٢ وكذلك بنيت قلعة رباح، وهي من أهم أعمال ابن عبد الرحمن، وهي بين قرطبة وطليطلة، وأمر ببنائها الأمير محمد بن عبد الرحمن سنة (٢٤١هـ = ٨٥٥م)،^٣ وهي مدينة جميلة، و بها حصن حصين على نهر آنة و تميزت بزيادة مبانيها الفخمة التي انتقل إليها كثير من الناس، وسكنوها بعد خراب مدينة أوريط،^٤ وتم بناء مدينة بطليوس التي أمر ببنائها الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ) - (٨٨٨-٩١٢م)،^٥ وكان فيها مسجد تم بناؤه باللبن والطابية، وبنيت صومعته بالحجر، وبني مسجداً خاصاً داخل الحصن الذي اتخذ له،^٦ وكان سور مدينة بطليوس مبنياً بالتراب، ولها روض كبير، أكبر من المدينة، وهي على ضفة نهر كبير يسمى الفؤور،^٧ وكذلك أمر عبد الله بن محمد ببناء مدينة مصر قرية الأندلس القريبة من قرطبة،^٨ وتميزت مبانيها بأنها رفيعة وفخمة وجميلة وفاخرة.^٩ وشهدت الأندلس في عهد الخلافة تقدماً كبيراً في الإعمار، فتم إنشاء المنشآت المعمارية والقصور الفخمة وبناء المزيد من المدن والضواحي الزاهرة التي ما زال بعضها قائماً إلى وقتنا هذا،^{١٠} كما تميز عصر الخلافة بالرخاء الاقتصادي الذي ساعد كثيراً في بناء العديد من المدن، إذ كانت جباية الأندلس في عهد الخليفة الناصر (٥٤٨٠٠٠٠ دينار) من الكور والقرى.

٢-٣. ابداع علماء الأندلس في مجال الفقهي والأدي

قامت في ظل الحكم الإسلامي للأندلس حضارة فريدة متميزة تفوقت على غيرها من الحضارات، وما زالت آثارها شاهدة على عظمتها وقد تميزت تلال الحضارة بالإبداع في مختلف المجالات الفكرية والثقافية والمعمارية والصناعية والزراعية والتجارية والاجتماعية والعسكرية وقد نجح مسلمو الأندلس بإبداع تلك الحضارة بسبب جمعهم بين الإيمان والعلم و الارواح

١. الحميري، الروض المعطار: ص ٥٢٣

٢. الأدرسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: ج ٢، ص ٥٥٢

٣. الحميري، الروض المعطار: ص ٤٦٩

٤. الحميري، الروض المعطار: ص ٤٦

٥. الضبي، بغية الملتبس: ج ١، ص ٣٨؛ ابن عبد، العقد الفريد: ج ٥، ص ٢٢٢؛ الحميري، جذوة المقتبس: ج ١، ص ٤١

٦. المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: ج ٢، ص ١٠٢

٧. الإدريسي، نزهة المشتاق: ج ٢، ص ٤٥

٨. الحميدي، جذوة المقتبس: ص ٨٤

٩. الحميري، الروض المعطار: ص ٥٨٤

١٠. المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب: ص ٤٥٧

والمادة وعمارة الدنيا والعمل للأخرة وقاد ساعدهم على الإبداع استيعابهم لحقيقة دينهم وتعاليمه واحاطتهم بالحضارات الأخرى والاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي وجمال الطبيعة فاي الأندلس وأرضها الخصبة ومناخها المعتدل.

٢-٣-١. الإبداع الفقهي

من المؤكد أن المسلمين في الأندلس أبدعوا في مجال الفقه، وذلك لأنهم اهتموا بشكل كبير في العلوم الدينية كمدخل للتطور في مختلف المجالات الأخرى. فكان مذهب الإمام الأوزاعي إمام الشام (١٥٧ هـ - ٧٤٤ م)، هو المذهب المعمول به في الأندلس، ثم دخل مذهب الإمام مالك منذ عصر الأمير هشام بن عبد الرحمن، الملقب بالرضي (١٧٢ هـ = ٧٨٨ م)^١، والذي كان له الفضل في نشر مذهب الإمام الأوزاعي هو الفقيه صعصعة

بن سلام الشامي قاضي قرطبة، وصاحب الصلاة فيها (ت ١٩٢ هـ - ٨٠٨ م).^٢

وزهد البعض إلى أن شبطون^٣ هو أول من أدخل المذهب المالكي في الأندلس،^٤ و سبب اعتناق الناس لهذا المذهب هو فضائل الإمام مالك، وحسن سيرته، وعدله في حكمه،^٥ بالإضافة إلى أن مذهب مالك يتسم بالموضوعية والعلمية والواقعية، وهو مذهب أهل المدينة ويراعي مصالح المسلمين،^٦ وأرجع البعض اتباع هذا المذهب إلى أسباب سياسية، أي إلى النفور والخصومة الشديدة بين العباسيين والأمويين، حيث كان العباسيون على المذهب الحنفي، لأن الإمام لم يكن يستريح لسياسة العباسيين،^٧ و كان لقدوم الفاتحين البربر لبلاد المغرب الذي ينتشر فيها هذا المذهب سبب في انتشاره، فبدا هذا المذهب بمثابة الهوية بالنسبة للسكان في المغرب.^٨ ويعد أول من أدخله إلى الأندلس هو الفقيه شبطون،^٩ و تعصب أهل الأندلس لهذا المذهب، فبعضهم ألف كتباً دفاعاً عنه.^{١٠}

١. حسن، تاريخ الإسلام: ج ٢، ص ٣٣٣

٢. ليفي، الحضارة العربية: ص ٥٩؛ المقرئ، نفح الطيب: ج ١، ص ١٠٣

٣. وهو زياد بن عبد الرحمن اللخمي الملقب بشبطين (ت ١٩٣ هـ - ٨٠٩ م)، هو أول من أدخل المذهب المالكي في الأندلس، وكان معاصراً للأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس: ص ٣٤

٤. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس: ص ٣٤

٥. المقرئ، نفح الطيب: ج ١، ص ٣٢٨

٦. المقرئ، نفح الطيب: ج ٢، ص ٢١٨

٧. المقرئ، نفح الطيب: ج ٢، ص ٢٣٢

٨. حسن، الحياة الدينية في المغرب: ص ١٠٨

٩. شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي: ج ٤، ص ٤٤

١٠. الشعكة، الادب الأندلسي: ص ٧٤

وبالرغم من تعصب الأندلسيين لهذا المذهب، إلا أن هناك أناساً اعتنقوا مذاهب أخرى، وكان هؤلاء أمراء تحرروا من نفوذ الفقهاء المالكية، مثل الأمير الحكم الرضي، وشجعوا دخول تيارات مذهبية أخرى، لكي يتنوع الفكر، وتتعدد الثقافة بما لا يمس الدين والحكم،^١ وكان لسيادة المذهب المالكي، وتعصب الناس له أن قلل من وجود المذاهب الأخرى المخالفة لأهل السنة

عموماً، ووجد الأندلسيين سواء أكانوا علماء أو عامة الناس على رأي وعاطفة واحدة.^٢ وكان أهل الأندلس يقولون: إننا لا نعرف سوى كتاب الله عز وجل وموطأ مالك، فإن ظهر شافعي أو حنفي نفوه، وإن عثروا على معتزلي أو شيعي وغيرهما ربما قتلوه،^٣ وقصر الأندلسيون التعليم في الأندلس على المذهب المالكي، أما المذاهب الأخرى، فقد فشلوا أن يجدوا لهم أنصاراً كثيرين مثل المذهب المالكي،^٤ وكان للفقهاء دور مهم في التربية والتعليم، حيث حملوا العقيدة الدينية، والأخلاق والمبادئ القرآنية، وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لذلك كان الناس يجلبون الفقهاء،^٥ وكان لاتباع المذهب المالكي موقف معادٍ حتى من المستقلين؛ أي غير التابعين للمذاهب الفقهية مثل بقي بن مخلد الذي كان له رأيه الخاص بالفتوى، حيث اعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية مباشرة،^٦ ولكن ظل المذهب المالكي وحده الذي يُدرس، وإن كان هناك من يقرأ أو يدرس كتباً في مذاهب أخرى فهذا لا يتجاوز حد الدرس، ومن ثم فشلت كل المحاولات لإدخال أية مذاهب أخرى في المجال العلمي.^٧ واتسمت تلك الحقبة بطغيان المذهب والعسكر، وكان يحاكم ويلحق كل من يخرج عن ذلك.^٨

ونجد أنه في عصر الخلافة قد قل التعصب الشعبي، وأصبح الملوك أكثر تحراً في آرائهم،^٩ و الذي عزز المذهب المالكي أكثر هو أن المرابطين وجدوا في المالكية أداة صالحة لهم ولخدمة أغراضهم، فأحاطوا أنفسهم بكبار فقهاء المذهب دون بقية

١. ليفني، الحضارة العربية في أسبانيا: ص ١٥٤

٢. ابن الأحمر، نثر فرائد الجمال تح رضوان الداية: ص ٤٥

٣. المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: ص ٢٣٦

٤. ريبوا، التربية الإسلامية في الأندلس: ص ٢٥

٥. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس: ص ١٩

٦. المقرئ، نفح الطيب: ج ١، ص ٨١٢

٧. ابن فتوح، جدوة المقتبس: ص ١٢٢

٨. الطرطوشي، سراج الملوك: ص ١٦٧

٩. ابن حزم، طوق الحمامة: ص ١٢١

المذاهب الأخرى، وكان حكمهم طبقاً للفقهاء المالكي، واعتمدوا على دراسته، واقتصروا عليها، ووقفوا عندها وأهملوا دراسة القرآن والسنة تماماً.^١

ولكن بمجيء الموحدين إلى أسبانيا، وفي صحبتهم مذهبهم الجديد الذي اعتمدوا فيه على الرجال الأتقياء الصالحين، وبعد أن أدركوا أن الفتوى التي تصدر عن فقهاء شبه الجزيرة الأيبيرية لا تعتمد على القرآن والسنة مباشرة، وإنما فقط على مذهب الإمام مالك أدى ذلك إلى منع دراسة كتب الفقه المالكي، وفيما بعد أمروا بإحراق كل ما وجد منها.^٢

والملاحظ أنه كان للفقهاء دور مهم وبارز في المجتمع الأندلسي، حيث ساهموا في صياغة فكره وثقافته بتعزيز العقيدة في النفوس، وبالرغم من الاختلاف بين المذاهب وتعصب الأندلسيين للمذهب المالكي فقد أدى ذلك إلى توحيد الآراء داخل المجتمع الأندلسي، وبالتالي ساهم في وحدة المجتمع حول منظومة فكرية واحدة، استخدمت في إدارة الدولة وأبدعت في التعليم وفي الأحكام الفقهية، مما جعل الفقهاء هم المعلمين والمؤدبين، فسموا هذا بمكانتهم وأكسبهم احترام مجتمعاتهم، وهذا بدوره الذي ساهم في الإنتاج الحضاري والتطور المجتمعي، حيث تحقق الاستقرار والوحدة بفضل جهود الفقهاء.

٢-٣-٢. الإبداع الأدبي

خلف المسلمون في الأندلس تراثاً عريقاً في الأدب، حيث أبدعوا في هذا المجال، فكان هناك عدداً كبيراً من الشعراء والأدباء الذين طوروا هذا العلم.

كان المسلمون في الأندلس منشغلين بالفتح في بداية خلافتهم،^٣ ولكن بدأت الأندلس أولى الخطوات نحو أدب الأندلس الذي أصبح له سماته الخاصة، ومنها التجديد والموضوعية، ووضوح العاطفة وصدقها،^٤ وكان من أهم الشعراء في هذه الفترة أبو المخشي عاصم بن زيد العبادي، وهو صاحب المعاني الحسنة، والنوادر الكثيرة، والعقول الغزيرة، ولم يصلنا من شعره إلا القليل،^٥ وأيضاً عباس بن ناصح الثقفي الذي نال حظاً من علم الفقه والحديث والأدب،^٦ ويتسم شعره بنزعة بدوية واضحة، فيه الكثير من الخشونة وقلة الصقل، والسذاجة في الأفكار، والصور والقلق في الألفاظ.^٧

١. المراكشي، بدل حيلولة لمعجب: ص ١٢٣٣

٢. ابن الآبار، تكملة الصلة: ص ٢

٣. أمين، ظهر الإسلام: ج ٣، ص ٩٩

٤. هيكل، الأدب الأندلسي: ص ٧٨

٥. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس: ص ٣٥؛ ابن عذارى، البيان المغرب: ج ٢، ص ١٢٤

٦. ابن الآبار، الصلة السيرة: ج ١، ص ٣٧

٧. هيكل، الأدب الأندلسي: ص ١٠٥

ولكن سرعان ما تطور الشعر عندما تأثر الشعراء بجمال الطبيعة الساحرة بالأندلس وهي التي رقت من مشاعر أهل الأندلس، وارتبط الشعر بالمغنيين والمغنيات، والجواري المشرقية من أمثال قمر والجعفاء وزرياب^١، ولقد تعلق الشعراء بهذه البلاد الجميلة طوال تاريخها الإسلامي، واحتفوا بجمالها^٢، و أبدع الأندلسيون نوعاً جديداً من الشعر الشعبي يسهل التغني به، وهو الموشحات والأزجال، ثم ظهر شعر الزهد ومن الشعراء الذين اهتموا به أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين^٣ وابن الفرضي وأقدم من اشتهر بالشعر في قرطبة هو أحمد بن محمد بن عبد ربه، صاحب العقد الفريد، الذي يعد ركناً من أركان الأدب الأندلسي^٤.

كذلك وجد في الأندلس الشعر والنثر القصصيان منذ وقت مبكر^٥، ومن فحول الشعراء في قرطبة في عصر الخلافة الشاعر أبو عمر يوسف بن هارون القرطبي المعروف بالرمادي (ت ٤٠٣ هـ - ١٠١٢ م)^٦، وهو الذي قال عنه الشعراء ومؤرخو الأدب أنه فتح الشعر لكبدته، وكان الرمادي شاعراً كثير الشعر^٧، وهناك شعر الغزل. حيث روي انه ابن حزم في طوق الحمامة احب جارية اسمها خلوة فتغزل بها باشعاره^٨.

ووصل الأمر أن جعله بعضهم على ألسنة الطيور، مثلما روي عن زوجة الخليفة الناصر، حيث أحضرت زرزوراً وعلمته أبياتاً من الشعر، وعندما قعد الناصر في بهو قصره بمدينة الزهراء، وقف الزرزور على إناء من ذهب، وأخذ يردد أبياتاً من الشعر^٩، وهذا يدل على إبداع الأندلسيين في هذا الجانب، حيث أصبح الشعر أساسياً، وظاهرة من ظواهر البيئة في، و كثر الشعراء في الأندلس^{١٠}، فكان منهم الخلفاء كالخليفة الناصر والمستنصر، ومنهم الوزراء كابن شهيد وابن جهور ومنهم العلماء كالزبيدي ومنهم القضاة كمنذر، ومنهم الأدباء كابن عبد ربه، وابن هاني الأندلسي، وابن دراج القسطلي^{١١}.

١. غومس، الشعر الأندلسي: ص ٢٠

٢. المقري، نفح الطيب: ص ١٤٨

٣. بالنيثيا، تاريخ الفكر الأندلسي: ص ٧١

٤. ابن الآبار، الصلة: ج ١، ص ١٢٤

٥. ابن خلدون، المقدمة: ص ٢٣٧

٦. ابن بشكوال، القاضي أبي عبد الله الصوفي: ج ٢، ص ٦٧٤

٧. ابن حزم، طوق الحمامة: ص ٣٦ ٣٧

٨. الحميدي، جذوة المقتبس: ص ٣٧١

٩. المقري، نفح الطيب: ج ١، ص ١٦٨

١٠. هيكل، الأدب الأندلسي: ص ٢٣٠؛ الشكعة، الأدب الأندلسي: ص ٢٣

١١. المقري، نفح الطيب: ج ٢، ص ١٨٩



٢-٣-٣. الإبداع الطبي

لقد أبدع الأندلسيون في مجال الطب، وترك أطبائهم بصماتهم الواضحة في هذا المجال، ومن أهم الأطباء الذين برزوا وعرفوا بإبداعاتهم:

كان الطبيب الوليد المذحجي برفقة عبد الرحمن الداخل عندما عبر إلى الأندلس، حيث كان الطبيب الخاص للأمير يقوم على علاجه وحفظ صحته،^١ وكانت الأندلس في البداية تعتمد على كتاب مترجم من كتب النصاري يقال له الأبريشم؛ لأنه لم يكن لهم دراية بصناعة الطب،^٢ ولكن سرعان ما تطور الطب منذ عهد الخلافة في الأندلس، فكان أطباء الأندلس يجمعون شتى العلوم، وساعدتهم على ذلك إلمامهم باللغة العربية، وظهرت النهضة العلمية في الطب في عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ - ٩١٢ - ٩٦١ م)،^٣ الذي استقرت الأوضاع في عهده فانعكس ذلك على مختلف العلوم، وكذلك نشطت الرحلات الفكرية والعلمية بين المشرق والأندلس في عهده،^٤ وكان من الوافدين من المشرق إلى الأندلس أبو بكر سليمان بن باج الذي كان عارفاً بالأمراض وصناعة الأدوية، وقد عالج الخليفة من رمد أصيب به.^٥ وأحدث الأندلسيون منصب رئيس الصناعة الطبية لمراقبة أعمال الأطباء الصيادلة،^٦ ووضعوا شروطاً على كل من يمارس مهنة الطب من بينها منع ممارسة الطب أو الجراحة للذين ليس لديهم خبرة أو كفاءة فيه، ومنع تدريس الطلب بغير علم أو تجربة في الاختصاص، اقتصار عملية تحضير الأدوية على الأطباء الصيادلة الخبراء فقط. وهكذا نجد أن علم الطب حظي باهتمام الحكام، لهذا هياً الحكام المناخ المناسب للإبداع فيه، وتطويره علمياً ومهنياً.^٧

١. ابن الأبار، الصلة: ج ٤، ص ١٥١

٢. ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء: ص ٩٢

٣. أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ص ٤٩٣

٤. أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ص ٤٩٠

٥. ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء: ص ١٠٢

٦. ابن الأبار، التكملة: ج ١، ص ٢٦٨

٧. ابن الأبار، التكملة: ص ٤٩

ومن أهم من برزوا في هذا العلم هو أبو بكر بن طفيل، وعبد الملك بن زهر (ت ٥٩٦هـ - ١١٩٩م)،^١ كما اهتم الأندلسيون بعلاج المرضى^٢ حيث اهتم بني أمية في الأندلس بتأسيس المستشفيات،^٣ والدليل على وجود المستشفيات في الأندلس بروز أطباء نالوا شهرة فائقة في علم الطب، كالطبيب الجراح أبي القاسم خلف الزهراوي، والذي أبدع في الجراحة.^٤ و أبدع الأندلسيون العيادات فكان للأطباء الأندلسيين عيادات خاصة لاستقبال المرضى، ويذكر أن الطبيب أبا جعفر أحمد بن إبراهيم القيرواني (٢٨٥-٣٦٩هـ - ٨٩٨-٩٨٠م) كان يستقبل المرضى في عيادته،^٥ واستخدمت مصطلحات أخرى تعبر عن معنى العيادات منها: الدكان أو الحانوت أو بيت الطبيب.^٦

ومن أهم الإبداع في هذا المجال هو تطور تعلم الطب وتطور مؤسساته، فكان المسجد ليس للعبادة فقط، ولكن أيضاً يقصده الطلبة للعلوم الأخرى مثل الطب،^٧ وكذلك المدارس لعبت دوراً مهماً في المجالس الخاصة هي الأخرى دوراً كبيراً في تدريس الطب وتطوره إلى جانب المساجد والمدارس، والتي كانت تنظم في قصور الأمراء، وبيوت الأطباء، وهذه اللقاءات عبارة عن مناظرات يعرض الأطباء فيها قدراتهم العلمية.^٨

وبدأ الأطباء الأندلسيون خلال القرن الرابع الهجري يساهمون في ترجمة أمهات الكتب الطبية الشهيرة، ويرجع الفضل في ذلك إلى الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر، الذي كون هيئة علمية من الأطباء والصيادلة العارفين بالأعشاب والتي تعلموها من خلال ترجمة كتاب الحشائش للعالم ديسقوريدس، وكانت الهيئة تتألف من الراهب نيقولا العارف باللغة الإغريقية واللاتينية، والطبيب حسداي بن إسحاق بن شبروط، ومحمد الشجار، ومحمد سعيد الطبيب وغيرهم،^٩ الذين عملوا على ترجمة الكتاب إلى اللغة العربية،^{١٠} و استفاد الطبيب ابن جلجل (ت ٣٨٤هـ - ٩٩٤م)، من علم الترجمة فألف مقالة في

١. أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ص ٥٣١

٢. عبد الرازق، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى: ص ١٦٩

٣. نور الدين، الطب والخدمات الطبية في الأندلس: ص ٩٢

٤. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ص ٥٠١

٥. ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء: ص ٨٩

٦. نور الدين، الطب والخدمات الطبية في الأندلس: ص ٩٧

٧. المنوني، التاريخ الأندلسي من خلال النصوص: ص ٣٣

٨. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس: ج ٤، ص ٤٥

٩. نور الدين، الطب والخدمات الطبية في الأندلس: ص ٣٩

١٠. ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء: ص ٢١، ٢٢؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ص ٤٩٤

الأدوية لم يسبق لديسقوريدس ذكرها في صناعة الطب،^١ وقام الوليد بن رشد الحفيد (ت ٥٩٥ هـ - ١١٩٨ م) أيضاً بتوجيه نقد لمؤلفات جالينوس الطبية في التشريح، وصحح ما جاء به الطبيب الإغريقي^٢ و برع أطباء الأندلس في علم النباتات منهم أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكر (٤٠٥-٤٨٧ هـ) - (١٠١٤-١٠٩٤ م)،^٣ فبحث في النباتات ومنافعها وأسمائها، وألف فيها كتاباً حول أعشاب الأندلس، باسم النباتات والشجيرات الأندلسية، وبرع النباتي الجغرافي محمد بن محمد بن الشريف الإدريسي (ت ٥٦٠ هـ = ١١٦٤ م)، وألف كتاباً في الأعشاب سماه الجامع لصفات أشجار النباتات،^٤ والطبيب أبو العباس أحمد بن محمد ابن الرومية (ت ٦٣٧ هـ = ١٢٣٩ م)، حيث شرح أدوية ديسقوريدس وجالينوس.^٥

٢-٣-٤. الإبداع التعليمي

كان للتعليم دوراً مهماً في الإبداع الحضاري لدى مسلمي الأندلس، حيث أننا لا يمكن أن نتصور حضارة دون التقدم في مجال التعليم، ومن هنا اهتم المسلمون بالتعليم.

تقدم الأندلسيون حضارياً، وذلك لشيوع التعليم في الأندلس في ذلك العصر، وأصبح التعليم يشمل الجنسين الذكر والأنثى، وجعل هشام بن عبد الرحمن الداخل اللغة العربية، هي لغة التدريس في معاهد أهل الذمة ومؤسساتهم، وكان لهذا دوره الكبير في انتشارها، وفي اعتناق الكثيرين للإسلام^٦ وكان للمساجد والمكتبات في عهد الخليفة المستنصر دور كبير، حيث تحولت إلى مكاتب رسمية تابعة للدولة، بعد أن كان المؤدبون يتخذونها في بيوتهم^٧ فكان محمد بن حزم يساعده ابنه وابنته في تعليم الصبيان والبنات في مكتبه بقرطبة، وكذلك سعيد بن سلمون بن سيد أبيه كان له كتاب يؤدب فيه،^٨ و من مؤدبي أبناء الأمراء والخاصة هشام بن الوليد الغافقي كان مؤدب الأمير عبد الرحمن الأوسط، وأبو محمد بن سابق الكلاعي كان عالماً بالنحو واللغة مبرزاً في الشعر، وأدب أبناء الأمير عبد الرحمن الأوسط، وابن أرقم مؤدب عبد الرحمن

١. ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء: ص ٢٢، ٢٣؛ نور الدين، الطب والخدمات الطبية في الأندلس: ص ٣٥

٢. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ص ٤٩٥؛ حمزة آمنة عودة، الصيدلة والعشابون في الأندلس، ص ١١٠

٣. البكري، المسالك والممالك: ص ٢٦

٤. أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ص ٤٩٦؛ حمزة، الصيدلة والعشامون في الأندلس: ص ٢٣٦

٥. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة: ج ١، ص ٢١٢

٦. الحجى، التاريخ الأندلسي: ص ٢٧٨؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس: ج ١، ص ٢٢٩؛ ابن حيان، المقتبس في أخبار بلاد الأندلس، :

ص ٣٥١؛ المغربي، المغرب في حلا المغرب: ص ١١٣

٧. الحجى، التاريخ الأندلسي: ص ٢٧٩

٨. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس: ص ٥٢٦

الناصر)^١ وكذلك عثمان بن نصر بن عبد الله القرطبي (ت ٣٢٥هـ - ٩٣٧م)، مؤدب الحكم المستنصر.^٢ واتخذ هؤلاء المؤدبون من التعليم حرفة يتكسبون منها، وكان المعلم يتقاضى مكافأة كلما بلغ أحد تلاميذه مرحلة الإتقان والحدق، ولذلك عرفت هذه المكافأة باسم الحدقة،^٣ أما عن معلمي أبناء الخلفاء والأمراء والخاصة، فقد باؤوا مكانة عالية، حيث كانوا من مشاهير العلماء، وأغدق عليهم المال الكثير،^٤ وقال الزبيدي: في طبيعة التحصيل العلمي عند هؤلاء المؤدبين: ولم يكن عند العربية ولا عند غيرهم ممن عني بالنحو كبير علم^٥

غير أن الحكم العام على جميع المؤدبين يكون جائزاً ومجحفاً في حق الكثير منهم، من الذين بلغوا مراتب علمية عالية، وكان لهم منزلة كبيرة في نفوس الناس،^٦ إن المنهج الذي سار عليه الأندلسيين في تعليم أولادهم مدار الصبي عندهم إذا عقل سلكوا به أمثل طريقة لهم علموه كتاب الله عز وجل، فإذا حلقة نقلوه إلى الأدب، فإذا نحض منه حفظوه الموطأ، فإذا أتقنه نقلوه إلى المدونة، ثم ينقلونه إلى وثائق ابن العطار، ثم يختصمون له بأحكام ابن سهل^٧ (٢)، ولكن بعضهم اتجه إلى طريقة مختلفة في تحفيظ الأطفال، حيث يبدأ الطفل يحفظ القرآن الكريم أولاً ولو من غير فهم، ثم يتعلم العربية، ثم يعود إلى القرآن مرة أخرى، وقد استطاع الفهم.^٨ وأصبح منح الأستاذ الإجازة لطلابه أمراً شائعاً بعد أن يتتلمذوا على يديه، وكانت تسجل في وثيقة من الرق أو الكاغد (الورق)، أو في الكتب التي درسها الطالب بخط أستاذه نفسه،^٩ ومن أمثلة هذه الإجازات ما ذكره ابن الفرضي من أن يوسف بن محمد بن الهمداني الشذوني الذي رحل إلى المشرق، وسمع الكثيرين به، أجاز له جميع ما رواه، وتوفي سنة (٣٨٣هـ = ٩٩٣م)،^{١٠} ولم تكن الإجازات مقصورة على الرجال فقط بل نالتها بعض النساء أيضاً.^{١١}

١. الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: ص ٢٧٨

٢. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس: ص ٨٩٨

٣. الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: ص ٢٧٨

٤. خوليان، التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية: ص ١٢١

٥. الزبيدي، طبقات اللغويين والنحويين: ص ٢٣٦

٦. عباس، تاريخ الأدب الأندلسي: ص ٦٤

٧. خوليان، التربية الإسلامية في الأندلس: ص ١٧٦

٨. أمين، ظهر الإسلام: ج ٣، ص ٨

٩. روبرا، التربية الإسلامية في الأندلس: ص ١٤٨

١٠. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس: ج ٢، ص ١٦٣٦

١١. الضبي، بغية الملتبس: ص ١١٨٦

وكانوا يبعثون بالفتيات إلى المدارس الأولية منذ الصغر ؛ لكي يتعلمن المواد نفسها التي تدرس للصبيان)، وبعضهن كن يواصلن التعليم العالي، ويحصلن على الإجازات نفسها التي يحصل عليها الرجال،^١ وبعضهن درسن الفقه والقراءات والسنة،^٢ وهي دراسات كان بعضها يؤهل صاحبه بأن يحترف التعليم، ويمارسه مهنة يعتاش منها ويرتزق.^٣ وأخريات يدرسن الأدب، ومواد أخرى يمكن أن تنفعهن أحياناً، لكي يتبوأن مناصب في ديوان الكتابة الملكية،^٤ وبعضهن نافسن الرجال بذكائهن، وفصاحتهم، ومهارتهن في الشعر وغيره،^٥ و بلغت المرأة المسلمة في الأندلس قدراً عالياً من التعليم دون تفرقة بين الجنسين،^٦ و من بين هؤلاء: إشراقه، وعرفت بين العامة باسم العروضية، وفي دراسة عن المرأة العربية الأسبانية، تبين أنها امرأة لها مكانتها وقدرها.^٧

كما رحلت النساء إلى الخارج ليتعلمن كالرجال، فقد ذهبت خديجة بنت أبي. محمد عبد الله الشنتجالي إلى المشرق مع أبيها، وحصلت على الإجازات التي شهد بها الأساتذة لصالحها^٨ وفي المشرق درست أيضا فاطمة بنت سعد الخبر من محمد، حيث ذهبت مع والدها وحضرت دروس كبار العلماء،^٩ و تميزت بعض النساء في علم التوحيد، إلا أنهن بصفة عامة اتجهن إلى علم الأدب والموسيقى والشعر وذلك لتجعل من زوجها رجلاً سعيداً.^{١٠}

وهكذا يتضح مما تقدم أن التعليم في الأندلس لقي اهتماماً كبيراً من حيث المنهج الذي كان يخرج طلبة متخصصين في مختلف العلوم، وربما ما يلفت أكثر في هذا الأمر اهتمام الخلفاء والأمراء بتأديب أبنائهم، وتعليمهم علوم الدين والأدب والشعر واللغة، وغيرها، وهذا يشير إلى ما كان يتمتع به هؤلاء الحكام من راحة العقل والحكمة، وكانوا يحرصون على تطوير أبنائهم، وأعدادهم وتربيتهم تربية حسنة تواكب تطور العصر آنذاك، وكذلك الذي يجعلنا نعجب بهذه التجربة اهتمام الأندلسيين المسلمين بتعليم المرأة جنباً إلى جنب مع الرجال دون تمييز بين الجنسين، من حيث المكانة أو اللون، وكان التعليم

١. ابن بشكوال، الصلة: ص ٢٩٩

٢. ابن بشكوال، الصلة: ص ١٤٢٠

٣. ابن بشكوال، الصلة: ص ١٤١٩

٤. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة: ج ٣، ص ١٥٦.

٥. ابن بشكوال، الصلة: ص ١٤١٣

٦. ابن الآبار، التكملة: ص ٣١٢

٧. ابن الآبار، التكملة: ص ١٥٤

٨. ابن بشكوال، الصلة: ص ١٤١٣

٩. ابن الآبار، التكملة: ص ٢١٢٢

١٠. يبيرا، نصوص عجمية: ص ٩٩

متوفراً للجميع، ولذلك نجد المرأة المسلمة أبدعت في شتى المجالات، بل ونافست الرجال، وتفوقت في بعض المجالات عليهم، وهذا ساهم بدور مهم في بذر بذور التطور الحضاري والتقدم المجتمعي في الأندلس على سائر المجتمعات الأخرى في ذلك العصر.

الفصل الثالث: الدور العلمي للعلماء الاندلسيين في ازدهار الحضارة
الاسلامية في الفترة الاموية في مجال الثقافة



الدور العلمي للعلماء الأندلسيين في ازدهار الحضارة الإسلامية في الفترة الأموية في مجال الثقافة

٣-١. نشر العلم والكتب

عرف المجتمع الإسلامي - لطبيعة بنائه وحقيقة مقوماته وأصالة أسسه. بحبه للعلم وشغف أهله في ذلك وهو أمر عام وعند العلماء أظهر. وكان هذا ثمرة لما غرسه الإسلام في نفوس مجتمعه الذي اعتبر العلم فريضة يسعى لها حريصا عليها طلبا لرضا الله. وهو نوع من الجهاد في سبيل الله يدخره عند الله أجرا يوم الدين ويجوز به رضاه وهي علامة خشيته والأخذ بشريعته واتباع دينه وهو دافع لا يمكن أن يتوفر في غير هذا الدين. وعلى ذلك فكانت هذه الظاهرة مثل غيرها متميزة في المجتمع الإسلامي قوة ووضاءة وازدهارا درجة ونوعا كما وكيفا.

وحرص العلماء من النساء والرجال في كل فن وتخصص على بذل ما عندهم من تحصيل يسعون إليه بين الناس ويسعون إليهم ويظهرون به قدوة متمثلة حية متحركة يدعون إليها بسلوكهم قبل قولهم، وهذا هو طبيعة العلم في المجتمع الإسلامي وتلك سماته وبه تعرف مكانة العلماء وكانت تسميتهم وقيادتهم.

ولذلك وجدنا هذا الأمر عاما في كل العصور الإسلامية وبلدانها، وافرة في صفحات الحضارة الإسلامية المشرقة. وكان الأندلس خلال عصوره الطويلة واحدا من تلك البلدان الإسلامية المتحضرة حضارة حقيقية.

وكل ما أصاب الأمة الإسلامية كان منها بعوامل خارجية و هذا العامل الأكبر في ذهاب الأندلس، وأحيانا تصاب بعوامل حين تضمر مثل هذه المعاني لكن على الدوام كانت تقول إلى هذا الدين فتجد الخير والظل الأمين والعزة والبناء الرصين ؟

والمرجو من المسلمين اليوم أن تنمو فيهم هذه المعاني لتعود إليهم مكانتهم في العلم والحياة يسعون إلى رضا الله وجنته وليقودوا ركب الحضارة الإنسانية وينقذوا الإنسان مما جنته يده حين ضل الطريق وتنكب صراط الله المستقيم. فنحن الدعاة المسلمين إن شاء الله تعالى مسؤولون للقيام بهذا الواجب ونرجو الله أن يعيننا عليه مبتدئين. من أنفسنا إن شاء الله داعين الآخرين بسلوكنا وأرجو الله أن يوفقنا في ذلك إنه نعم المولى ونعم النصير آمين. جمع الكتب الإسلامية

وحين الحديث عن الأعلام في الأندلس في التصانيف المعنية بذلك، تتردد دوما عبارات متوافرة تشير إلى الاهتمام بجمع الكتب والعناية بتدوينها وانتساخها والتأليف لها بشكل كامل.^١

وإلا فهي متوافرة في كثرة كاثرة. ولذلك فإن هؤلاء العلماء، وهم يهتمون بجمع الكتب وتكوين المكتبات كانوا من أصحاب المؤلفات الحسان والإنتاج الحفيل والأمثلة تفيض بما الكتب وهي تشيد باقتنائهم الكتب والعناية بها وضبطها وتثني

١ . ابن عبد الحكم، فتوح أفريقيا والأندلس: ص. ٢٧٤

على اهتمامهم بالتأليف والإكثار منها. وفيما يذكر في هذا البحث تعبير بليغ عن أصالة هذه الصفة بأحسن أوضاعها ومقوماتها.

والأمثلة في ذلك حافلة غنية بإفصاحها عن هذه الميزة التي وصفت كل عالم بأنه كان كثير الدواوين جماعة للكتب وذا همة عالية في تدوينها و أنّ له تأليف حسان. وظاهرة اهتمام العلماء بالكتب جمعا وتدوينا وتأليفا وانتساخا، وكذلك دأبهم على الإقراء والتحديث (التدريس والتحاضر) وإقبالهم على نشر العلم وبقه تدلّ على النمو في هذا الاتجاه والتجويد فيه باستمرار مستزدين، دوماً، وبهم لا يشبع. والحرص في ذلك كله باد صريح، ثمرة لقوله تعالى في القرآن الكريم: لتبينته للناس ولا تكتُمونه) ولبقية المعاني الإسلامية في هذا الاتجاه وفي غيره لكل مجال - العلم فيما يخص هذا الأمر مثل الأمور الأخرى . واتصافا بحديث الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال وأمثال ذلك مما ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وظهر من سنته.

فكان نشر العلم أمانة ومسؤولية ترتبط بالعقيدة وتقوم على الأساس نفسه في الاستجابة لنداء الله والالتزام بأمره والوقوف عند شرعه. سواء كان بالبلاغ المباشر التعليم، أو غير المباشر الكتاب.^١

٣-٢. أساليب نشر العلم

وترد هنا مسألة لا بد من إثارة الانتباه إليها ذلك أن الأندلس بلغت حداً عالياً من العلم والمعرفة في رفعة المستوى وعمق الأصول وسعة الشمول بين النساء والرجال. فلا بد أن كانت لهم طريقة ناجحة في التعليم وأسلوب في التدريس ونشره. إنها طريقة تستحق البحث والدراسة والتعريف، خاصة الأسلوب المباشر والتعليم أو الأسلوب المباشر في التعليم كان عاما يهرع إليه العلماء والمتعلمون. ومكانة العالم يقوم جزء كبير منها على بذل العلم للناس وكان العلماء في إقبال شديد على نشر العلم حسبة ورغبة في حب الله وطاعة له وكان ذلك يتم بحرص منه شديد.

وقد انفردت الإشارة إلى هذا الأمر، حين الحديث عن العلماء، خاصة أولئك الذين تفرغوا فيه وأنفقوا وقتهم وجهدهم له. وآخرون كانوا يمارسونه وسيرتهم تنبئ بذلك، وهذا يكاد يكون عاما.

فالحافظ أبو الوليد ابن الفريسي (٤٠٣هـ)، صاحب المؤلفات الكثيرة الحسنة كان معنيا بالعلم قائما به نافذا فيه (٢٢٥). وأبو عبد الله محمد ابن أصبغ بن محمد بن أصبغ الأسدي (٥٣٦هـ) قاضي الجماعة بقرطبة فقد أقبل على التدريس، وإسماعيل الحديث (٢٢٦). وأبو زكرياء يحيى بن هلال

ابن زكرياء (٣٦٧هـ) من أهل قرطبة كان مورودا في السماع منه، سمحا ينشر علمه.

^١ . دوزي، رينهارت؛ المسلمون في إسبانيا: ص. ٣٤

فأبو جعفر أحمد بن الوليد بن أبي جمرة (٤٤٤هـ) مرسى بيت علم وجلالة ودين معرضا عن الدنيا كثير العمل تصدق بجل ماله، إلا ما يقيم أوده، وله في الفقه فتاوى حفظت عنه، وتزهّد ورحل إلى المشرق فأدى فريضة الحج. ولما قفل إلى بلده أقبل على نشر العلم وبته وتدرّسه إلى أن توفي به.

والقاضي أبو الوليد الباجي (٤٧٤هـ) أحد أئمة المسلمين بالتأليف وصاحب المصنفات الكثيرة الشهيرة الذي عني: والتدريس بل إنه حين رحل إلى الشرق الإسلامي في ٤٢٦هـ لثلاث عشرة سنة، قدم خلالها بغداد وأقام بها ثلاثة أعوام يدرس الفقه ويقرأ الحديث. مثلما فعل الحافظ أبو بكر أحمد الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) حين خرج إلى الشام حدث بدمشق بعامة كتبه.

وأحمد بن مضاء لحق بجبل تين ملك أحد الجبال الشامخة الغربية لمراكش، فاستقر به مدرسا العلم ناشرا ما لديه من معارف. وأبو محمد قاسم بن الحاج محمد بن مبارك الأموي الرقاق (٥٩٥هـ) أقرأ طويلا بإشبيلية وبفاس وبسلا وبغيرها. والإمام الحافظ الحميدي الأندلسي (بغداد ٤٨٨هـ) صاحب المصنفات الكثيرة وجذوة المقتبس كان شديد الحرص على نشر العلم وبته في أهله.

٣-٣. الإخلاص في نشر العلم

وكل ذلك كان يتم مع الحرص في إخلاص والرغبة في استمرار والفرح في السعي إلى الناس. وذلك عام مألوف كالقاسم بن عبد الرحمن بن القاسم بن دحمان بن فتوح بن نصر الأنصاري (بلنسية ٤٨٥هـ مالقة) الذي كان كبير الأساتيد بمالقة وصدر المقرئين بها، خيرا فاضلا متواضعا، طال عمره وعظم انتفاع الناس به وروى عنه الأصاغر كما روى عنه الأكابر، ونفع الله بالأخذ عنه عالما كبيرا، وكان ناصحا في تعليمه حريصا على الإفادة ضابطا ثقة فيما يرويه متين الدين تامّ الفضل. ومن السهل ملاحظة أن هذا الإقبال على نشر العلم وإشاعته تطوعا واحتسابا. بأجر أو بدونه - كان يقوم به علماء اعلام عرفوا بفضلهم وورعهم ومكانتهم من الناس ومن السلطان فكانوا قدوة في علمهم وخلقهم والتزامهم واستقامتهم وهروغهم إلى الناس لنفعهم. وهذا واضح المدلول بأن هذه الأمور كانت نابعة من العقيدة ومدفوعة بحملها ومركونة على أسسها الفاضلة التي تكون الدوافع الطوعية والرغائب التي هي أقوى وأفضل وأصدق وأعمق وأمكن و أدوم من أية دوافع غيرها ولا تقوم بدونها.^١

١ . مؤنس، حسين، فجر الأندلس: ص ٦٤

٣-٤. رحلات العلم و بذله

وكما كان استمرار الإنتاج في التأليف دون توقف الصعود وفوق كل ذي علمٍ عليم (سورة يوسف: ٧٦) كذلك طلب العلم؛ فلقد كان البذل له كريماً والسعي فيه حثيثاً والاستزادة مستمرة والنمو مضطرباً والرحلة إليه دائمة ما زال المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظنَّ أنه قد علم فقد جهل. وكل ذلك قوي واضح في المؤلفات ذات الاهتمام بهذا الجانب. فيذكر ابن الفريسي في تاريخه لعلماء الأندلس عن داود بن عيسى بن جبويه الكلاعي الأحول من أهل قرطبة رحل إلى المشرق فاجتمع مع بقي بن مخلد وكان بقي لا مال له وكان داود واسع المال، فسأله بقي: أن يتيح من ماله ما يشتري به الكتب ب، ويجمع به به الدواوين، ويكون سماعهما واحداً. وقال له أرجو أن ينفعك الله بذلك. فأجابه داود إلى ذلك، فكان سبب استكثار بقي من الرواية والجمع. ولما انصرف إلى الأندلس كتب بقي الكتب لنفسه.

والحافظ أبو محمد عطية بن سعيد بن عبد الله الأندلسي (٤٠٧ هـ) طاف بلاد المشرق سياحة وانتظمها سماعاً، وبلغ إلى ما وراء النهر ثم عاد إلى نيسابور وأقام بها مدة. وذهب بعد ذلك إلى مكة المكرمة وتوفي بها بعد أن أقرأ وحدث أعواماً. كان ثقة كثير الكتب صحيح السماع. و قد جمع كتباً حملها على بخاتي كثيرة. وكان ابن الضابط أبو عمرو عثمان بن أبي بكر الصديقي السفاقسي الأصل كانت له رواية واسعة ومعه كتب كثيرة من روايته بالعراق والشام والحجاز ومصر. وكانت عنده غرائب. تجول بالأندلس منذ عامين، ثم انصرف إلى القيروان فوجهه الصنهاجي صاحب القيروان رسولا إلى القسطنطينية ثم انصرف عنها أو مات في طريقها، إما وارداً أو صادراً رحمه الله.^١

٣-٥. انتقال الكتب

وكان جلب الكتب من الأقطار الأخرى إلى الأندلس معروفا مشهورا خاصة بالقرون المبكرة، وذلك يمثل أحد روافد الثقافة الأندلسية. لقد شمل ذلك الميادين كافة وكان من يأتي إلى الأندلس من أهل المشرق الإسلامي يجلب معه الكتب كما فعل أبو علي القالي. أما الأندلسيون فكان ذلك هدفا يعملون لتحقيقه ويجتهدون لإنجازه.

فهذا أبو القاسم سلمة بن سعيد بن سلمة بن حفص بن برد الانصاري (٤٠٧ هـ) رحل إلى المشرق وحج وأقام بالمشرق ثلاثاً وعشرين سنة، وأدب في بعض أحياء العرب. وكان رجلاً فاضلاً ثقة فيما رواه.

راوية للعلم. حدث وسمع الناس منه كثيراً. وقد نفع في رحلته وانتفع علما وفضلا، فساق من المشرق ثمانية عشر حملاً مشدودة من كتب. وسافر من أستجة إلى المشرق واتخذ مصر مؤثلاً، واضطرب في المشرق سنين كثيرة جداً يجمع في الآفاق

^١ . القُرطبي، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٧٦

كتب العلم، فكلما اجتمع من ذلك مقدار صالح نُحْض به إلى مصر، ثم انزعج بالجميع إلى الأندلس وكانت في كل فن من العلم ولم يتم له ذلك إلا بمال كثير حمله إلى المشرق.

٣-٦. اصطحاب الكتاب

وربما كان أهم ما يملك العالم مكتبة يزيّن بها داره وهي أكبر ما لديه في الحل والترحال. وقد يكون زاهدا في كل شيء متقللاً منه غير الكتب، وعاء العلم. وحين يسافر بعضهم يصحب معه كتبه كلها أو بعضها. وهي أهم ما يعنى به كما فعل ابن الصقر الأنصاري العالم المؤلف جماعة الكتب الذي تردّد بين الأندلس والشمال الإفريقي، خاصة مراکش. وحين عاد إلى غرناطة استصحب إليها من مراکش خسة أحمال أو كان ذلك حين توجه إلى مراکش، أو كان كليهما، ثم زاد عليها الكثير. وهذا أمر عام بلدان العالم الإسلامي يصل إلى حد الطرافة أحيانا. كالذي جرى للإمام حامد الغزالي (٥٠٥ هـ) حين سافر من بغداد ف أخذ العيارون ما معه، رجاهم أن يردوا عليه كتبه ففعلوا.

ولعل حيثما يحل أحدهم تكون له مكتبة، وقد يتركها في مكانها حين يرحل للانتفاع بها. كما فعل الحافظ أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد من قرطبة (٣٧١ دانية ٤٤٤ هـ - ١٠٥٢ م). رحل الداني طلبا للعلم من الأندلس إلى عدد من بلدان الشرق الإسلامي وترك في بعض منها كتباً، إذ خلف كتبه بالحجاز ومصر والمغرب والأندلس ويذكر المقرئ عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي المرسى (٦٥٥ هـ) أنّه كانت له كتب في البلاد التي ينتقل إليها بحيث إنه لا يستصحب كتباً في سفره اكتفاء بما له من الكتب في البلد الذي يسافر إليه.

وكانت هذه الظاهرة عامة عند علماء المسلمين في أقطارهم المختلفة. فذكر السخاوي حين الحديث عن مجد الدين الفيروزآبادي (٨١٧ هـ)

صاحب المؤلفات الكثيرة والقاموس المحيط بأنه اقتنى كتباً كثيرة، حتى نقل عنه أنه قال: اشترت بخمسين ألف مثقال كتباً. وكان لا يسافر إلا وفي صحبته منها أحمال، ويخرجها في كل منزل وينظر فيها، وصنف كتباً كثيرة.

ويأبى أحدهم تعطيل الإفادة من الكتب فينفع بها نفسه وغيره، ويعمل على الانتفاع بها في كل الظروف. فحين ذهب العالم الأندلسي الأديب الحكيم أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الإشبيلي (٥٢٩ هـ) إلى مصر في ٤٨٩ هـ أيام خلافة المستعلي الفاطمي بن المستنصر حدث له ما حمل الوزير الأفضل شاهنشاه على سجنه. لكن الطريف في الأمر أنه سجن لسنوات في مكتبة غنية بالمؤلفات يهيئ فيها الجو المناسب للدرس والإنتاج، ولا تخلو من لقاء بالمرتادين، ورب ضارة نافعة. وفي ذلك يقول ابن سعيد المغربي: فسجن في القاهرة في خزانة البنود، وكان فيها خزائن من أصناف الكتب، فأقام بها نحو عشرين سنة، فخرج منها وقد برع في علوم كثيرة من حديثه وقديمه. وصنّف كتاب الحديقة، على منزع كتاب

الأدوية المفردة وغيرها. فكانت أعواما ذات حصيلة كبيرة من العلم والتأليف إذ خرج في فنون العلم إماما، وأمتن علومه الفلسفة والطب والتلحين، وله في ذلك تواليف تشهد بفضله ومعرفته.^١

فهل نجد لهذه الطرافة أمثلة الآن وهل يحلم علماؤنا أن يحظوا بها يوما ما ؟

٣-٧. الحياة العلمية الحقبة

إن استعراض الأمثلة السابقة وما يجاريها وغيرها يبين حقائق الحياة العلمية في المجتمع الإسلامي ودقة أصالتها وبعد أغوارها ونقاوة مقاصدها وشمول آفاقها وصفاء مساعيها لإقامة العلم الخير النافع وإشاعته بين الناس بحرص أكيد وهمة لا تعرف التوقف والفتور متجهة إلى الله عاملة على نشر دينه متمثلة السلوك الإسلامي الرفيع واقفة المواقف الحقبة متحملة في ذلك كل بذل وتضحية وفداء وهذا بعض ثمار العقيدة الإسلامية والأخذ بشريعته حية يتمثلها الإنسان وتظهر في مجتمع وترفع رايته دولة قامت وأعزت الإنسان بعد نصر الله له. والأمل أن يشهد القرن التالي هذا التحرك ليقوم المجتمع الفاضل والدولة الكريمة تحمل راية الإنسانية الكريمة الفاضلة و تحقق الربانية في الأرض ليستحق الإنسان ليكون خليفة الله فيها يعمرها و يؤدي حقّ الألوهية والعبودية له سبحانه وتعالى، له الفضل والمنة و منة القوة والعزة والنصر وله الشناء الحسن.

تعددت في العالم الإسلامي غربه وشرقه - مراكز الإشعاع الثقافي في مختلف ميادين وأغنت قريحة المسلمين عالمهم بالمؤلفات، فكان إنتاجهم - زيادة على وفرته - يمتاز بالأصالة والدقة. فطُفح بها العالم الإسلامي. وفي الأندلس - وارث حضارته - طما منها بحر زاخر. لقد كثرت المكتبات في الأندلس، ووجدت فيها الخاصة والعامة بغينها ولقد قدر عدد المكتبات العامة في الأندلس أيام الخلافة نحو سبعين مكتبة، ولعلّ هذا غير مكتبات المساجد والمجالس وغيرها. ويرد احتمال كون بعض هذه المكتبات العامة محدودة العموميتها، تحتم بالبحث أولا وتفتح أبوابها للباحثين والعلماء، وهو أسلوب مهم ومفيد، في حين كانت الأخرى شاملة العمومية.^٢

ولما كانت المساجد بمثابة دور للعلم فمن الطبيعي أن تكون مكتباتها يسيرة الاستعمال للطلبة في دراساتهم، باعتبارها مكتبات عامة. ولا يبدو أنّ مكتبات المساجد وأمثالها تنطوي في عداد هذه المكتبات السبعين. ومهما يكن من اعتبارنا لهذا الوضع فإنّ بيوت الاندلسيين، حتى غير العلماء، كانت تزينها أجمل ما تزينها مكتبة، قلت محتوياتها أو كثرت. وطبعا فقد كثرت أحياء الكتب وحوانيثها في قرطبة وغيرها من الأقاليم والمدن الأندلسية صغيرتها والكبيرة، وربما قراها وأريافها - حسب اتساعها وحاجتها ومطلوبها - وغدت أسواقها حافلة بالحركة العلمية في هذه التجارة النافقة والمهنة الراجحة والمبرة الرائقة.

١ . رمضان، الصّراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبيّة: ص. ١١٧.

٢ . ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ص ٦.

وكنّ خزائن الكتب ومحلاتها وما يتصل بها عناية ورعاية ودراية ردت الخير وحملت النور وأقامت إنسانية الإنسان بالعلم الإسلامي الكريم النافع طلبا لرضا الله وسلوك درب الإسلام وتعمير الحياة بشرعه متجهة إلى الله بهذه العقيدة الفضلى قائمة على الإيمان بالله، زاهية مجتمعاتها بشرعه، منتشية بخدمة هذا الدين حاملة لواء الخير في كل ميدان، قائماً على العلم ومباركا باليقين ترجو رحمة الله تعالى رب العالمين وتبث هديه على العلم ومباركا باليقين ترجو رحمة الله تعالى رب العالمين وتبث هديه في أرجاء الحياة ليعم نوره كل مكان ويشمل الأرجاء نور هذا الإيمان فتحقق بذلك إنسانية الإنسان التي لا تحيا إلا بهذا الدين ولا تجد نفسها إلا في ظله ولا درب غير دربه للأخذ في الطريق المنير، فشرع الله خير في الدارين.

ويقوم هذا على إنارة البصر والبصيرة بالعلم والمعرفة الحققة النافعة، العلم النابع من الشرع والقائم عليه والداعي إليه والمتمسك به، نضوجا وإنسانية وسلوكا يراها الناس ضافية على صاحبها يتوشح به مجتمعها فيجتذب الناظرين ويرتفع بأهله إلى مثابة الدعاة الخيرين قيادة لأهله ولبنى الإنسان أجمعين قيادة الحياة التقية والحضارة النقية والإنسانية الكريمة السنية.

فقام المجتمع الإسلامي على هذا اللون من العلم وكان مدى الاهتمام به واسعاً عريضاً في كل اتجاه خيراً عميقاً أصيلاً في أعماقه وأغواره، بعيد القوة يؤتي ثماره في كل حين. وعلى هذا الأساس كان اهتمام المسلمين بالعلم ووسائله ومنها الكتاب حوته مكتباتهم وتزينت به مجالسهم وتعمرت بمحتوياته الخيرة أنديتهم، فكنّ المكتبات على كل المستويات وأصبحت أمراً وقضية أساسية لا يكاد يستغني عنها أحد، يسعون له وينفقون من أجله ويسفرون لاقتنائه.

فأقيمت مكتبات غنية في العالم الإسلامي كافة، وفي الأندلس من ذلك كثير. ولقد بلغت محتويات تلك المكتبات ما يعتبر عظيماً ومتقدماً في مثل هذا الزمان فكيف بذاك، يضرب بأوضاعها ومحتوياتها وخدماتها المثال في عالم! اليوم وبعض سماتها تفتقر إليه المكتبات الحالية العالمية من العناية بطالبي الكتاب عالماً وباحثاً ودارساً ورعايته وإكرامه والإنفاق عليه وترغيبه فيه والبر به والبذل له بمحبة وتقوى وعناية نابعة من الاتجاه نفسه في - حب العلم وإقامة صرحه عليه وتثبيت صبغته الإلهية وتوسيع دائرة النفع وتمسكها مع العقيدة الربانية ونشر الفضيلة وإنعاش الخير وإشاعة المعاني الإنسانية وتوفير المثال والقدوة التقية في حياة المسلم فرحاً بها وحرصاً عليها تقرباً إلى الله وخدمة لشرعه وفرحاً بأداء الواجب طالباً رضا الله تعالى خيراً وبراً وبركة ونعمة طاعة ومحبة في طريق الله المنير دون سؤال أو انتظار عن مكافأة أو جزاء أو غيره لكن الجزاء عند الله تعالى ورضوان منه أكبر بفضل ومنته ورحمته وبره ومغفرته إن شاء الله تعالى.^١

فكانت المكتبات الكثيرة وخزائن الكتب الوفيرة متعددة ومنتشرة في كل ركن تبث ما فيها علماً نافعاً وسلوكاً كريماً يقتضي آثار الصالحين ويدعو إلى التمسك بهدي الله رب العالمين ونشر دينه القويم وإقامة المجتمع - كل مجتمع يدخله هذا النور - على مقوماته لإقامة حضارته الفاضلة، وكانت المجتمعات الإسلامية تقوم بذلك وتعود إليه وتحرص عليه.

^١ . المقرئ التلمساني، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ص ٤٣

فكانت العناية بالكتاب على هذا الأساس عناية بالعلم نشرا لدين الله وبحثا عن رضاه حبا به، فكانت عناية المسلمين وعلمائهم بالكتاب كبيرة وفيرة.

٣-٨ العناية بالكتاب و خزائنه

كل هذا كان يتم في الأندلس رغم عدم ما توفر لدينا اليوم من وسائل النشر والطباعة الحالية وسهولة الاتصال والانتقال والخدمات الأخرى كافة المتعلقة بالكتابة والإنارة وغيرها. ومع ذلك فكان السمت العلمي والنتاج الفكري سريع الوصول من بلد إلى آخر في طول العالم الإسلامي وآفاقه الواسعة الرائعة، والكتاب ينتقل بسرعة واهتمام، فيتم تداول المؤلفات. وكانت الرحلة من أجل العلم تتم للأخذ بمن ظهر علمه صونه والتزامه بمقتضياته مثلاً متحركاً به في الحياة، يرحل الناس من كل صوب يتسابقون في ذلك ويتنافسون ويفخرون، وكما نرحل اليوم إلى الجامعات المشهورة للكسب العلمي، مع الاختلاف في الدافع والمدى والهدف. وكم من علماء الأندلس وصفت حالهم بأن الرحلة كانت إليهم ذكر ابن بشكوال (٥٧٨هـ) في صلته - حين الحديث عن أبي إسحاق بن شنظير الأموي (٣٥٢ ٤٠٢هـ) وأبي جعفر ابن ميمون (٣٥٣ ٤٠٠هـ) - بأنه قد رحل الناس إليهما من الآفاق. ولقد بلغ مستوى التعليم في العالم الإسلامي وفي الأندلس مكانة عالية مرموقة مشهورة تجاوزت إمكانيات ذلك العصر ودوافعه بأبعاد بعيدة ومسافات واسعة في عالم ذلك اليوم وهي حتى الآن ما تزال مرموقة رفيعة ليس فقط في أهدافها ومبتغاها ومقوماتها بل بمستواها وشمولها واتساعها ما يجعل مستواها ذاك يقصر عنه العصر الحالي في شيوخ المعرفة وعمومها وعمقها فضلاً على أصالتها وأهدافها وتوجهها إلى الله رب العالمين وهو له ثمة علما كريما خيرا نافعا ينشر البر ويصونه ويرعاه ويعمل على إشاعة الهداية وتثبيت التقوى وإنارة الطريق إلى الله رب العالمين. وبذلك كان المستوى رفيعاً وعجيباً حتى هذا اليوم، يكمن سرّه في شرع الله وبره في اتباع هدايته، فكيف لو كانت للمسلمين مثل تلك الوسائل التي نأمل لحياتهم الحالية أن تعود إلى ذاك الطريق مبتنية عليها في كل اتجاه لتري الإنسانية ما لا يمكن أن يشبهوه أو تسمع به أو ترى مثله في هذه الحياة والأجمة. والأمل أن تقوم دولة الإسلام ومجتمعه غير بعيد وما ذلك على الله بعزيز وهو الذي جلت قدرته قد وعد به اللهم أرنا دعوتك متمثلة في الحياة وانصر جندك يقيمون دولة القرآن بعونك ولطفك.^١

٣-٩. مستوى التعليم بالأندلس

إذا كان شعب - كاهل الأندلس - نساؤه ورجاله كلهم يقرأ ويهتم بالعلم، يتذوقه ويستمتع بقراءته ومدارسته ويستوعب معانيه حافظاً له محافظاً عليه، وفيه الآلاف من العلماء والمتخصصين في كل ميدان يكتبون ويؤلفون بوفرة غزيرة وأصالة باهرة

١. القرطبي، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٣٥

وتمكن نادر وفريد فإننا نتوقع سيلا من الإنتاج غامرا وجارفا واهتماما بالعلم والعلماء وارفا ووسيلة ذلك الكتاب ضمن وسائل أخرى معهودة معروفة في الحياة العلمية والاجتماعية الإسلامية في الأندلس وغيرها.

فكانت الأندلس قبلة للعلماء والمتعلمين على السواء، ليس من العالم الإسلامي فقط ولكن من خارجه أيضا. وغدا العلم والكتاب مصدر فخر و ميدان سباق به ترتفع مكانة الإنسان ويعرف موضعه. وكثيرا ما اعتز وافتخر أهل الأندلس بنتائجهم الفكري واهتمامهم به. ولابن حزم القرطبي (٤٥٦هـ) والشقندي (٦٢٩هـ) وابن سعيد الأندلسي (٦٥٨هـ) وغيرهم رسائل معروفة في ذلك.

وأصبحت الكتب في الأندلس موردا رائقا وسوقها نافقا والبذل فيها جودا وإن كثر السفر لأجلها نزهة والسهر في تدبيجها متعة. وكان ذلك عاما بين النساء والرجال وعموم الناس وخاصتهم، حكاما ومحكومين علماء ومتعلمين. منهم المكثرون والمقلون الذي يسير مع من أنشد.

٣-١٠. المكتبات الخاصة

ابتنى الإسلام الحياة العلمية في المجتمع الإسلامي في بلدانه كافة على أسس فريدة مجيدة، مثل القضايا الأخرى في أحواله جميعا. وتميزت الحياة العلمية فيه باوضاع وطبيعة وظواهر خاصة وهي كثيرة ووفيرة وممتدة، كان منها ظاهرة جمع الكتب والمكتبات الخاصة في أعصار وأمصار العالم الإسلامي الواسع كافة. وكانت الأندلس على ذلك مثالا واضحا. ازدانت بيوت الأندلسيين بالكتب، فاشتهرت كثير من المكتبات الخاصة للرجال والنساء، علماء ومتعلمين، حتى إنه كان لبعضهم جماعة خاصة من الوراقين وغيرهم يقومون باستنساخ الكتب. فكان من البديهي أن تزين دار كل عالم - مهما كان ميدانه - بمكتبة فخمة ذات قيمة علمية كبرى وعناية فائقة بجمعها قد تعتبر أثمن ما في بيته، ينفع بها نفسه والآخرين. فإن الكثير منهم قد تميز وعرف باقتنائه مكتبة كبيرة متخيرة.

وهذا الأمر يرد لدى العديد من مراجعنا الأندلسية وغيرها عن العلم والعلماء والإنتاج والمؤلفات، كما يظهر بوضوح خلال هذا البحث. ويقدر - دون تردد - بأن العديد من أهل العلم من الرجال والنساء، كانوا تملكوا جمع الكتب واهتموا باقتنائها فكانت له مكتبة خاصة كبيرة مهمة، وإن لم تذكر المصادر هذا الجانب في ترجماتها بهم أو ضاعت هذه المعلومات. فهناك العلماء الكبار الذين قد تكون مؤلفاتهم مكتبة، لا بد أن تكون لهم مكتبات كبيرة أمثال يحيى بن يحيى الليثي (٢٣٤هـ) وعبد الملك بن حبيب السلمي (٢٣٨هـ) وبقي بن مخلد (٢٧٦هـ) وابن وضاح (٥٨٧هـ) وابن حزم (٤٥٦هـ) وابن الخطيب (٧٧٦هـ) وآخرين، وإن لم ترد في المصادر أخبار واضحة مشيدة بذلك. فإذا كانت بيوت عموم الناس غير المشهورين بالعلم قد احتوت على الكتب في مكتبة صغرت أو كبرت تعني بانتقاء الكتب واقتنائها فكيف هؤلاء العلماء.^١

١. عثان، دولة الإسلام في الأندلس: ص ٥٢

ومن هؤلاء العلماء من لا تخلو ترجمته من إشارة لطيفة عابرة لهذا الأمر كان تصفه بأنه كان ضابطا لكتبه أو معتنيا بتنقيحها. أو لعل وصف أحدهم بجمع الكتب انحصر على من اشتهر بهذه الصفة وفاق غيره. وهذه الأسماء ذات العناية بجمع الكتب هم من العلماء الذين عرفوا بعلمهم ومؤلفاتهم أو ممن كان لهم بالعلم اهتمام واشتغل به.

وإن كتب التراجم ترجمت للعلماء والمشتغلين بالعلم تأليفا وتدريسا. وخلال ذلك أشارت إلى أخبارهم والتي كان منها جمع الكتب. وهي لم تترجم لمن كانت له مكتبة كسبب فريد. من دراستنا لحالة المجتمع الأندلسي العلمية نرى أن احتواء مكتبة أمر عام لم يكن شأن العلماء وحدهم - ورد ذكر ذلك عنهم أم لا - بل عموم الناس ممن لم يكن لهم مكان في كتب التراجم - لأنه أمر عام - إلا لمن اشتهر منهم. وهذه الأمور تتضح أمام تصفح الأمثلة الواردة، وترد في هذا البحث. كان جمع الكتب وتكوين المكتبات معروفا بين أهل الأندلس، غدا ضرورة أصيلة وهواية منتشرة وكما ألفه الحكام والأمراء - حيث رأينا في الأمثلة السابقة - فقد عرفه العلماء، بل هو جزء ضروري من حياته، لو صح بغيره الاستغناء عنه فلا يصح بالنسبة إليه. فكان عاما لدى جميع الناس على اختلاف مستوياتهم العلمية وطبيعة أعمالهم وتفاوت مدخولاتهم، بين الرجال والنساء، ومكتبة في بيت أسرة بجمع الكتب. ولعل شهرة البعض أنت من هذا الاهتمام بجمع الكتب أكثر من المكانة العلمية أو التأليف هذا الاهتمام فحسب. وتساق هنا بعض الأمثلة لإيضاح هذا الجانب من غير استقصاء لها فهي كثيرة وفيرة غزيرة.^١

ذكر ابن بشكوال في صلته الأروشي (٤٨٧ هـ = ١٠٩٤ م)، من أنه كانت له همة عالية في اقتناء الكتب. ويقدم لنا ابن عميرة الضبي (٥٩٩ هـ) في بغيته زيادة في المعلومات عن المتعلقة الأروشي بهذا الشأن. والصبي ينقل ذلك من كتاب تاريخي ابن علقمة (٤٢٨ - ٥٠٩ هـ = ١٠٣٧ - ١١١٥ م) ويرجح أن تاريخ ابن علقمة هذا هو كتابه القيم البيان الواضح في الملم الفادح، وهو مفقود، عثر على قطع منه. فيقول الضبي: إن ابن ذي النون صاحب بلنسية أخذ كتب الأروشي من داره وسيقت إلى قصره، وذلك منة عدل وثلاثة وأربعون عدلا من أعدل الجمال، يقدر كل عدل منها بعشرة أرباع. وقيل إنه كان قد أخفي منها نحو الثلث. ولهذه القصة مدلول.

وأورد أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي (٧٠٣ هـ = ١٣٠٣ م)، في كتابه الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، حين الحديث عن أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الأنصاري الخزرجي (٥٦٩ هـ = ١١٧٣ م)، بأن أبا العباس هذا كان محدثا مكثرا ثقة ضابطا مقرنا مجودا حافظا للفقه ذاكرة المسائله عارفا بأصوله متقدما في علم الكلام عاقدا للشروط بصيرا بعللها حاذقا بالأحكام كاتبها بليغا شاعرا محسنا آنق أهل عصره خطا وأجملهم فيه منزعا. وكتب من

١ . طقوش، تاريخ الدولة الأموية: ص ١٦٠

دواوين العلم و دفاتره مالا: يحصى كثرة وجوده وضبطا. وذكر عنه أيضا أنه كان مقتنعا باليسير راضيا بالدون من العيش مع الهمة العالية والنفس الأبية، على هذا قطع عمره، وهذا كان دأبه إلى أن فارق الدنيا ولم تكن همته مصروفة إلا إلى العلم وأسبابه، فاقتنى من الكتب جملة وافرة سوى ما نسخ بخطه الرائق.

وإن هؤلاء العلماء بالرغم من حاجتهم للوقت لاكتساب العلم والعكوف عليه تحصيلًا وتأليفًا وكذا تدريسًا كانوا هم يقومون باستنساخ كثير من الكتب المؤلفين آخرين بجانب مؤلفاتهم - كما يشير النص السابق بل وحتى في أسفارهم التي قد لا يكون طلب العلم هدفها الأول. ثم إن كل ذلك كان يتم بجانب عمل يمارسه العالم يعتاش منه، سواء كان عملاً حرّاً كتجارة وزراعة أو وظيفة كالقضاء وغيره. وكانت للقضاء منها ويبدو أن اشتغال العلماء بالتحصيل العلمي والتأليف والتدريس لم يكن عموماً هو مصدر عيشهم إلا ما قد يكون من جرايات.

فيبدو من إنتاج هؤلاء العلماء واهتمامهم وكانهم متفرغون جزئياً أو كلياً للعلم وخدمته بدوافع إيمانية خيرة برة. وهذه الوضعية ترينا الهمة العالية والسمى المنبث المعرفة وتبين رافعها وجذورها العميقة، ما يؤكد المعنى الذي سبق ذكره من أن طلب العلم في المجتمع المسلم والاهتمام به يمثل أحد ظواهر هذا المجتمع وحضارته، التي ميزها الإسلام وجعل مجتمعه يعتبر هذه الأمور جزءاً من عقيدته، و على هذا الأساس تجبى دراستها.

ولذلك كنا نجد هؤلاء العلماء عند كل موقف تتطلبه مصلحة الإسلام والمسلمين، حتى ميادين القتال والجهاد وسوح البذل والاستشهاد، فقد كار بينهم وبينها لغة ونسب. وقد كان منهم من يتصدرها كما يقصد مجالس العلم وحلقائه، فكلما الأمرين يصدران عن ذات النبع.

و تواتر الأخبار عن الاهتمام بتدوين العد وطلبه حتى في السفر غير الموجه للعلم بل من أجل هدف آخر تختتم في الفرصة للانتفاع العلمي. من ذلك ما يذكر صاحب كتاب الذيل والتكملة حين يذكر أبا العباس أحمد بن أحمد بن خلف الحضرمي من أهل إشبيلية المعروف بابن رأس غنمة (نحو ٦٤٣هـ = ١٢٤٥م). فيقول ابن عبد الملك المراكشي بأن أبا العباس رحل إلى المشرق في حدود الحمر والتسعين وخمس مئة مرافقا الشهيد أبا بكر بن أحمد الكناني . فادي فريضة الحج ولقيا هنالك بقايا الشيوخ، فأخذوا عن طائفة منهم. وقفوا إلى الأندلس واستصحبوا فوائد جمّة وغرائب كتب لا عهد لأهل الأندلس به انتسخاها هنالك. وتوافقا على أن ينسخ أو يقابل أحدهما غير ما ينسخه رفيقه أو يقابله، استعجالا لتحصيل الفائدة ويذكر ابن بشكوال في الصلة عن أحمد بن محمد بن عبد الله بن قزلمان (٤٢٩هـ = ١٠٣٧م)، الذي سكن قرطبة وأقرأ الناس بها محتسبا، بأنه جمع كتباً حسناً كثيرة النفع على مذاهب أهل السنة، ظهر فيها علمه، واستبان فيها فهمه. كما يذكر مثل ذلك عن هشام ابن عبد الرحمن بن عبد الله المعروف بابن الصابوني (٤٢٣هـ = ١٠٣١م)، فيصفه جيد الخط أما أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن يزيد بن محمد بن خبير بن

عيسى اللخمي المعروف بابن الأحذب من أهل إشبيلية (٤٣٧هـ = ١٠٤٥ م)، فقد كان رجلاً صالحاً، مقبلاً على ما يعنيه قديم الطلب جامعا للكتب والأصول لقي جماعة من الشيوخ فكتب عنهم وسمع منهم.

ويذكر المقرئ في نفحه عن ذي الوزارتين أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم (٧٠٨هـ)، الذي تولّى الوزارة لسلطان غرناطة محمد الثالث (المخلوع)، بأنّه كانت له عناية بالرواية و ولوع بالأدب، وصباغة باقتناء الكتب. جمع من أمهاتها العتيقة وأصولها الرائقة الأنيفة، ما لم يجمعه في تلك الأعصر أحد سواه، ولا ظفرت به يدها.

وكان ذو الوزارتين كاتباً بليغاً وشاعراً اشتهر بالأندلس ذكره، وقد أحيا معالم الأدب، وأكرم العلم والعلماء، ولم تشغله السياسة عن النظر، ولا عاقه تدبير الملك عن المطالعة والسماع وأفرط في اقتناء كتب، حتى ضاقت قصوره عن خزائنها وأثرت أنديته من ذخائرها.

ويذكر ابن بشكوال عن أبي الطيب سعيد بن أحمد بن محمد بن سعيد الحديدي التجيبي (٤٢٨هـ = ١٠٣٦ م) من أهل طليطلة، بأنّه جمع كتباً لا تحصى. وكان معظماً عند الخاصة والعامة، ورحل إلى المشرق وحج ولقي جماعة من العلماء. كما يحدثنا عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عوني بن محمد بن عوني المعافري (٥١٢هـ = ١١١٩ م) من قرطبة، فيصفه بأنّه كان معتنياً بالعلم مشهوراً بالمعرفة والفهم كثير الكتب جامعاً لها، باحثاً عنها.

ومثل ذلك جاء في وصف أبي الحكم منذر بن منذر بن علي بن يوسف الكناني (٤٣٣٤٠هـ) من أهل مدينة الفرج بأنّه كان رجلاً صالحاً قديماً للطلب للعلم كثير الكتب راوياً لها موثقاً فيها.

وهذا عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد ابن الفرضي الحافظ القرطبي المشهور (٤٠٣-٣٥١هـ = ٩٦٢-١٠١٣ م) وصفه ابن بشكوال بأنّه كان جامعاً للكتب فجمع منها أكثر ما جمعه أحد من عظماء البلد كما وصفه بالمنزلة العلمية الواسعة الرفيعة إذ جمع علماً كثيراً في فنون العلم.

وكما قال عنه مؤرخ الأندلس أبو مروان بن حيان القرطبي (٤٦٩هـ) : لم ير مثله بقرطبة من سعة الرواية وحفظ الحديث ومعرفة الرجال والافتنان في العلوم، إلى الأدب البارع والفصاحة المطلوبة، قلما كان يلحن في جميع كلامه من غير حوشية مع حضور الشاهد والمثل. كذلك كان فقيهاً عالماً في جميع فنون العلم في الحديث وعلم الرجال وله تواليف حسان.

وهذا أبو الخطاب العلاء بن أبي المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم (٤٢١-٤٥٤ = ١٠٣٠-١٠٦٢ م) تحمل - كأثرابه - في رحلته العلمية إلى الشرق الإسلامي المشقة الكثيرة، و امتحن في رحلته بضروب من المحن لم تسمع لأحد قبله، وأقام في رحلته الكريمة ثمانية أعوام وتسعة أشهر وستة عشر يوماً وقد كان من أهل العلم والأدب والذكاء والهمة العالية في طلب العلم، كتب بالاندلس فأكثر. ورحل إلى المشرق فاحتفل بالجمع والرواية ودخل بغداد. وهو الذي ذكر عنه ابن حيان القرطبي: أنّه جمع من الكتب الغربية ما لم يجمعه أحد. وكل ذلك وسّنه يوم وفاته ثلاث وثلاثون سنة. وفي هذا إشارة واضحة ذات مدلول مهم إلى المستوى العلمي العالي العام الواسع الذي يتلقى فيه الوليد العلم ويهيأ له

من أسبابه كل سبيل ويحف به وافر التشجيع ويغرس في نفسه عشقه للتلقي والبذل له، فيقبل عليه وهو في النعومة، حتى ما ينفصل وما يرى الحياة، بدونه محبة ارتضعها مع محبة العقيدة الإسلامية وشريعته وكل متعلقاتها تغذاها وليدا صغيرا ونمت معه وغدت كيانا يعيشه وطبيعة يتحرك بها وسمتا واضحا في حاله.

ولابد من الإشارة والإشادة بإدراك المرأة الأندلسية المسلمة لهذه الأمور ودورها في تهيئة الجو الأسري الظليل في محضن التنشئة للصغار ومأوى الإنتاج في النضج ومرقأ النشر لمن استوى، زيادة إلى مشاركتها في ميادين أخرى، يبقى السابق معها طوال المهمات. ومع كل ذلك فقد اشتهر العديد من النساء بالعلم والتأليف وجمع الكتب ونسخها والعناية بها وامتلاك المكتبات بل واشتغلن العديد منهن ناسخات عرفن بذلك وتميزن به متفوقات ومكانة المرأة المسلمة التي وامتازت بذلك من سائر شقيقاتها من أتباع الملل الأخرى من بنات حواء وهي مكانة لا تعرف في غير هذا الدين.

وكان هذه الأمور: الاهتمام بجمع الكتب، والحفظ والاستيعاب، منسجمة والكل يمارس بشغف وسائل كسب العلم وتحصيله لا يبالون ما ينفقون وما يتجشمون من صعاب في السفر وتكاليف في الحضر، باذلين الصبر والجهد والسهر في طلبه وطول كسبه، حتى روي عن أحدهم قوله: اليوم لي منذ أخدم هذه المعانة الكتب وأعانيها ستون سنة.

الفصل الرابع: الدور العلمي للعلماء الاندلسيين في ازدهار الحضارة الاسلامية
في الفترة الاموية في مجال الدين و المذهب



الدور العلمي للعلماء الأندلسيين في ازدهار الحضارة الإسلامية في الفترة الأموية في مجال الدين و المذهب

مجال القراءات: يجد أن هذا العلم من العلوم التي تفوق فيها الألسيون تفوقاً كبيراً بذوا بما غيرهم من علماء الأقطار الإسلامية الأخرى. وكان الغازي بن قيس الذي كان مؤدياً بقرطبة أيام دخول عبد الرحمن بن معاوية، قد رحل إلى المشرق وأدرك نافع بن نعيم وقرأ عليه، وهو أول من أدخل قراءته إلى الأندلس. وكذلك كان ابنه عبد الله بن الغازي يعلم القرآن على رواية نافع بن نعيم. ومن القراء المؤدبين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الذي كانت له رحلة، وقرأ القرآن على عثمان بن سعيد المعروف بورش صاحب نافع وقد استأدبه الأمير الحكم بن هشام (٢٠٦، ١٨٠هـ) لبنه.

ومن القراء الذين برزوا في هذا المجال: المقرئ أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري الطلمنكي (٤٢٩٣٤٠هـ) وكانت له رحلة إلى المشرق وانصرف إلى الأندلس يعلم كثير، وكان أحد الأئمة في علم القرآن العظيم، قراءته وإعرابه، وناسخه ومنسوخه، ومعانيه. وقد صنف عدداً من المؤلفات في هذا الشأن منها: (الدليل إلى معرفة الجليل) وتفسير القرآن)، والوصول في معرفة الأصول)، (والبيان في إعراب القرآن).

وكان أبو موسى الهواري من أوائل العلماء الأندلسيين الذين ألفوا في علم القراءات وله كتاب في ذلك.

ومن علماء القراءات أيضاً خلال هذه الفترة: أبو محمد مكي بن أبي طالب القرطبي (٣٥٥هـ / ٩٦٥م)، وأصله من القيروان سكن قرطبه، كان من أهل التبحر في علوم القرآن محسناً لذلك مجوداً للقراءات السبع عالماً بمعانيها. وكان مكي قد وفد إلى الأندلس عام (٣٩٣هـ) / ١٠٠٢م حيث رحب به الحاجب عبد الملك بن المنصور وعينه لتدريس القرآن وعلومه بجامع الزهراء وقد تبوأ منزلة كريمة بين علماء قرطبة آنذاك وأخذ في نشر علومه وتدريس طلبة العلم في جامع قرطبة. فاشتهرت مجالسه العلمية وعظم شأنه. ومن مصنفاته (كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية). (كتاب تفسير إعراب القرآن) وكتاب (التصيرة في القراءات السبع).^١

ومن مشاهير العلماء الأندلسيين وأئمتهم في هذا المجال الذين أطبقت شهرتهم الآفاق، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني (٤٤٤٣٧٠هـ) وقد بلغ الغاية فيها ووقفت عليه معرفها و انتهت إلى روايته أسانيدها، وتعدد تأليفه فيها وعول الناس عليها وعدلوا عن غيرها و اعتمدوا من بينها كتابه التيسير. ومن مصنفاته: (جامع البيان في القراءات السبع). (والتحديد في معرفة التجويد) و(التلخيص لقراءة نافع بن عبد الرحمن)، والأرجوزة المنبهة على القراء والرواة وأصول القراءات وغيرها. وأما التفسير: فقد كان أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد (ت ٢٧٦هـ) من أوائل علماء التفسير بالأندلس، وقد صنف كتاباً في تفسير القرآن قال عنه ابن حزم: (فمن مصنفات أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد كتابه في تفسير القرآن فهو الكتاب الذي أقطع قطعاً لا أستثنى فيه أنه لم يؤلف في الإسلام مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره) ٣. ويبدو أن هذا

١. أصبهاني، تاريخ الأدب الأندلسي: ص ١٢٣

المصنف كان في غاية من الجودة والإتقان مما جعل ابن حزم يؤكد تأكيداً جازماً أنه لم يؤلف مثله، لا أن ابن حزم كان منحازاً لكل ما أندلسي يفيض عليه بالثناء والمدح ويحاول بشتى السبل أن يبرز تفوق الأندلسيين على أهل المشرق.

ومن علماء التفسير خلال هذه الفترة الشيخ أبي موسى الهواري وله كتاب في تفسير القرآن.

وكان القاضي منذر بن سعيد البلوطي قاضي الناصر لدين الله، عالماً بالقرآن الكريم وتفسيره له فيه كتب مفيدة منها كتاب الأحكام). وكتاب (الناسخ والمنسوخ). ومن علماء التفسير أيضاً محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (ت ٣٩٩هـ) وله مختصر في التفسير أما علم الحديث فقد نشط فيه الأندلسيون أيما نشاط من عدد وبرز علمائهم في هذا المجال ولهم تصانيف كثيرة تدل على تعمقهم في دراسته والعناية به. وقد أكثر العلماء الأندلسيون من وضع معاجم أعلام الحديث ومن أشهر من عني بذلك معارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير، صاحب كتاب الأئمة من (المصنفين) وهو من أهل القرن الثالث الهجري، ووهب بن مسرة من وادي الحجرة، وأحمد بن حزم المنتجلي (ت ٣٥١هـ/٩٦١م) والذي ألف مجماً بأعلام الحديث، والقاضي محمد بن يحيى بن مفرج وغيرهم كثير.

ويعتبر بقي بن مخلد من أشهر الحديثين في الأندلس فقد رحل إلى المشرق فروى عن الأئمة وأعلام السنة منهم الإمام أحمد بن حنبل، وأبو بكر عبد عن أبي شيبه وجماعات أعلام يزيدون على المائتين، وله في الحديث مصنفه الكبير الذي رتبته على أسماء الصحابة رضي عنهم فروى فيه ثلاثمائة ألف صاحب ونيف. ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الأحكام فهو مصنف و مسند.

ومن مشاهير علماء الحديث خلال هذه الفترة، محمد بن وضاح الذي رحل رحلتين إلى المشرق، وبلغ عدة الرجال الذين سمع منهم في الأمصار مائة وخمس وسبعون ومحمد بن وضاح وبقي بن مخلد، صارت الأندلس دار حديث. وكان محمد بن نواح عالماً بالحديث بصيراً بطرقه متكلماً على عله.

ومن علماء الحديث أيضاً الخشني، كانت له رحلة إلى العراق ولى غيرها من البلاد وأقام خمسا وعشرين سنة متجولاً في طلب الحديث، ثم رجع إلى الأندلس وحديث وانتشر علمه.^١

ولم يكن استقرار هذه المصنفات التي ألفت في علوم الحديث من قبل الخشني، وبقي بن مخلد بالأمر الميسور، فقد واجها صعوبات جمة في نشر علمهما، ووقوف بعض العلماء عقبة أمامهما لاختلاف في وجهات النظر، وكان الوقوف الأمير محمد إلى جانبهما أثر كبير في ازدهار علم الحديث بالأندلس. فقد قال الأمير محمد لبقلي علمك وأرو ما عندك من الحديث و اجلس للناس حتى ينتفعوا بك ونهاهم أن يتعرضوا له.

^١ . الشكعة، الأدب الأندلسي: ص ٢١٢

وكان من علماء الحديث الأندلسيين الذين كانت لهم رحلة إلى المشرق قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف، وقد سمع بقرطبة من بقي بن مخلد، وأبي عبد الله الحشني، ومحمد بن وضاح لم رجل إلى المشرق وسمع من عدد كبير من المشاركة وعاد إلى الأندلس بعلم كثير، وسمع منه الأمير عبد الرحمن بن محمد قبل توليه، كما سمع منه ولي العهد الحكم، و كان قاسم بن أصبغ بصيراً بالحديث والرجال نبياً في النحو.

وله تأليف حسان جداً منها أحكام القرآن واقعي في الحديث، وكتاب فضائل قريش وكنانة، والناسخ والمنسوخ، وغرائب حديث مالك بن أنس مما ليس في الموطأ.

ومن علماء الحديث، محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيح المعافري، وقد رحل إلى المشرق في العام الذي توفى فيه مالك بن أنس، وكان الغالب عليه رواية الحديث والآثار وكانت وفاته سنة ٢٢١هـ ومنهم أيضاً: محمد بن إبراهيم بن حيون، من أهل وادي الحجارة سمع من أبي عبد الله الحشني وابن وضاح وعبد (ابن مرده ومحمد بن عبد الله بن الغازي وجماعة من نظرائهم بالأندلس، ورحل إلى المشرق فتردد هناك خمس عشرة سنة وكان إماماً في الحديث علماً به حافظاً لعلله بصروا بطرقه توفي سنة ٣٠٥هـ.

ومن هؤلاء المحدثين، محمد بن عبد الله بن سعيد البلوي من أهل قرطبة وكان كثير الكتابة للحديث حافظاً لأخبار الشيوخ، وكان عوام الناس والقدسية يجتمعون إليه ويسمعون منه توفي سنة ٣٧٠هـ.

و من علماء الحديث أيضاً ثابت بن عبد العزيز السرقسطي وابنه قاسم، وقد رحلوا إلى المشرق ولقيا رجال الحديث ورجال اللغة وجمعاً هنالك علماً كثيراً، وألف قاسم كتاباً في شرح الحديث سماه كتاب (الدلائل) وبلغ فيه الغيتين من الإتقان والتجويد حتى حسد عليه، وذكر الطاعنون أنه تأليف غيره من أهل المشرق فمات قبل إكماله فأكماله أبوه ثابت بن عبد العزيز.

و من مشاهير علماء الحديث خلال هذه الفترة أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (١٩٧٨-١٠٧٠م)، و كان إمام عصره و واحد دهره.

جلا عن وطنه ومنشئه قرطبة، فكان في الغرب مدة لم تحول إلى شرق الأندلس وسكن دانيه وبلنسية وشاطبة وله مؤلفات جليلة منها: (الاستيعاب في أسماء الأصحاب) و(التمهيد) لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) (وكتاب الاستذكار المذاهب علماء الأمصار لما تضمنه موطأ مالك من معاني الرأي والآثار) وغير ذلك من مصنفات حديثية.

وقد أولى العلماء الأندلسيون والمغاربة موطأ الإمام (ت ١٧٩هـ) جل عنايتهم وقدموه على صحيح البخاري ومسلم وذلك لأنه كتاب إمامهم وعمدة مذهبهم كما أنه أول كتب الحديث دخولاً إلى بلاد المغرب والأندلس. ويأتي في المرتبة الثانية بعد الموطأ من اهتمامات الأندلسيين بمصنفات الحديث صحيح الإمام مسلم ثم البخاري، يقول ابن خلدون وأما

صحيح مسلم فكنّرت عناية علماء المغرب به وأكبوا عليه وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري وربما يرجع ذلك لسهولة تناوله وخاصة على الطالب المبتدئ.

وأما الفقه فقد كانت بلاد الأندلس جمالاً خصباً لبحوث علمائه. وقد كانت أخذت الأندلس في مبدأ الأمر على مذهب الإمام الأوزاعي فقيه أهل الشام ثم المذهب الإمام مالك بن أنس بدءاً من عصر الأمير هشام بن عبد الرحمن (١٧٢-١٨٠م)، وقد نبغ كثير من تلاميذ الإمام مالك أو تلاميذ تلاميذه في الفقه المالكي وكان لهم شأن كبير في الأندلس، وقد صبغوا البيئة العلمية الأندلسية بالصبغة المالكية، وأصبح المذهب المالكي سمة بارزة يميز أهل الأندلس عن المشرق.

وأول هؤلاء الفقهاء المالكية الذين كان لهم دور بارز في تأصيل الفقه المالكي في الأندلس، الفقيه عيسى بن دينار (وكان لا يعد في الأندلس أفقه منه في نظرائه) وكان محمد بن وضاح يقول: (هو) الذي علم أهل الأندلس الفقه) وله كتاب (الهداية) وهي أرفع كتب جمعت في عناها على مذهب مالك و ابن القاسم، وأجمعها في المعاني الفقهية على المذهب فمنها كتاب الصلاة وكتاب البيوع وكتاب الجدار في الأفضية وكتاب النكاح والطلاق. وكان محمد بن عمر بن لبابة يقول: (فقيه الأندلس عيسى بن دينار، وعالمها عبد الملك بن حبيب، وعاقلها يحيى بن يحيى). ومن فقهاء المالكية الأندلسيين الفقيه عبد الملك بن حبيب، وكان حافظاً للفقه على مذهب المدنيين، نحللاً فيه، وله مؤلفات في الفقه والتاريخ والأدب كثيرة منها: (الواضحة) لم يؤلف مثلها، و (الجوامع) و كتاب فضل الصحابة رضي عنهم، وكتاب غريب الحديث، وكتاب تفسير الموطأ ومن علماء الفقه المالكي بالأندلس، محمد بن أحمد بن عبد العزيز ابن أبي عتبة (وكان المحظاً للمسائل، جامعاً لها، عالماً بالنوازل، وهو الذي جمع المستخرجة وأكثر فيها من الروايات المطروحة والمسائل الغريبة الشافعية، وكان يأتي بالمسألة الغربية فإذا سمعها قال أدخلوها في المستخرجة).

ومن أعلام الفقه المالكي الأندلسي يحيى بن إبراهيم بن مزين القرطبي (ت ٢٥٩هـ / ٨٧٢م) وهو من أهل قرطبة وأصله من طليطلة. روى عن عيسى بن دينار، ومحمد بن عيسى الأعشى، ونعي بن نعي، وغازي بن قيس ونظرائهم، ورحل إلى المشرق في أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم فلقى بالمدينة مطرف بن عبد الله صاحب مالك بن أنس، روى عنه المومماً ورواه أيضاً عن حبيب كاتب مالك، ودخل العراق فسمع من القعني عبد الله بن مسلمة، ومن أحمد بن عبد الله بن يونس، وسمع بخصر من أصبغ بن الفرج وغيره. وكان لفظاً للموطأ فقيهاً فيه، وألف كتباً حسناً منها: (كتاب تفسير الموطأ وكتاب تسمية الرجال المذكورين في الموطأ وكتاب استقصى فيه علل الموطأ سماه (كتاب المستقصية) وكتاب في (فضائل العلم) وكتاب في (فضائل القرآن)).

ومنهم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي دليم من أهل قرطبة يكنى أبا وكان نبياً في الحديث ضابطاً لما روى بصيراً بالأعراب حسن الكتاب) وقد صنف كتاب الطبقات فيمن روى عن مالك وأتباعهم من أهل الأمصار (-٩٦٢/٣٥١)

هؤلاء بعض علماء المالكية الذين أسهموا بمجهود مقدر في الدراسات الفقهية بالأندلس. وقد أورد ابن الفريسي في كتابه تاريخ علماء الأندلس وابن بشكوال في كتابه (الصلة)، والحميدي في (جذوة المقتبس) والقاضي عياض في (ترتيب المدارك) والمقري في (نفع الطيب) تراحم لآلاف فقهاء المالكية بالأندلس ممن لا الحال يتسع المجال لذكرهم.

وقد عرف مالكية الأندلس بالتعصب المذهبي ولم يتيحوا فرصة كبيرة لأصحاب المذاهب الأخرى لنشر آرائهم فعمدوا إلى محاربتهم في كثير من الأحيان كما هو الحال مع بقي بن مخلد والخشني وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

وعلى الرغم من ذلك فإن كتب التراجم تشير إلى بعض فقهاء الشافعية الأندلسيين مثل خلف بن عبد الله بن مخارق الخولاني من أهل الجزيرة الخضراء، وكان مفتياً في بلده وفقهياً مشاوراً تدور الفتيا عليه مع أصحابه ويوسف بن محمد بن سليمان الهمداني من أهل شذونه (ت ٣٨٣هـ) وقد رحل إلى المشرق وكتب بخطه أحمد كتب الشافعي ومحمد بن بن إبي بردة الشافعي وكان من أعلم الأندلسيين بمذهب الشافعي وأحسنهم قياماً به، ولم يصل إلى الأندلس أفهم منه بالمذهب، وقد تفقه للشافعي على يد أبي اسحاق المروزي، وأبي سعيد الأصبخري، وكان رئيس الشافعية في وقتها وصل إلى الأندلس سنة ٣٦١هـ فأكرمه الخليفة المستنصر. ومن فقهاء الشافعية كذلك عبد السلام بن السمح بن نابل الهواري، يكنى أبا سليمان، أصله من مورور، رحل إلى المشرق وتردد هناك مدة طويلة وسكن اليمن وتفقه بمصر بالشافعي وقرأ القرآن وجوده وقدم الأندلس وكان حسن الخط بديعه، وكان حافظاً لمذهب الشافعي حسن القيام به.^١

٤-١. المسجد الجامع بقرطبة

هو أعظم آثار المسلمين وأروع أمثلة العمارة الأندلسية، ركز قبلته حنش الصنعاني وكمل بناؤه سنة ١٧٠هـ / ٧٨٦م ٩ م، وفي سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م شرع الناصر (٣٠٠ ٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦٢م) في بناء منذته وهي مئذنة كبرى تتناسب ورونق الخلافة وقد خطب منذر بن سعيد (ت ٣٥٥هـ / ٩٦٥م) يوم الانتهاء من الشروع في بناء المسجد الجامع مبتدئ بقوله أتبنون بكل ربع آية تعبثون، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون، وانقوا الذي أمتكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون، إني أخاف عليكم يوم عظيم، فمال متاع الدنيا قليل، والآخرة خير لمن إتقى، وهي القرار، ومكان الجزاء وقد حث على الإنفاق فيه، و أما المستنصر ٣٦٥هـ / ٩٦١-٩٦٧م) فقام بتوسيع الجامع بعد أن ضاق بمصليه من مال الأحباس وأجرى الماء إلى سقايه الجامع ويذكر ابن عذارى كان حيا (٧١٢هـ / ١٣١٢م) في حوادث ٣٥٢هـ / ٩٦٢م أنه كان فيها ازدحام الناس بالمسجد الجامع بقرطبة وتضاعفهم حتى كانت النفوس تتلف، فأمر المستنصر بتوسيعه والزيادة فيه، فأتى القاضي منذر بن سعيد إلى المسجد الجامع ومعه صاحب الأحباس و الفقهاء والعدول بما اجتمع قبله من أموال الأحباس فنظروا الزيادة فيه (٤٢). ويذكر ابن حيان (ت ٤٦٩هـ / ١٠٨٦م) أنه في يوم الجمعة

١. فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية: ص ٢٠١

لثمان خلون منه، ناد مناد عند أبواب المسجد الجامع بقرطبة، في أمر قاضي الجماعة محمد بن إسحاق بن السليم (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)، معلنا صوته فقال: أيها الناس - رحمكم الله يقول لكم القاضي وفقه الله أنه ليس بغائب منكم ما فيه ضعفاؤكم ومساكينكم من الفاقة والحاجة فحصلوا زكاة أموالكم وكفارة أيمانكم ووصايا أسوانكم وعجلوا بها على فقرائكم ومحاوليكم ولا تناسوهم غدا خصماؤكم عند الله ربكم وهو شهيد عليكم لا رب غيره.

ولما كملت زيادته أحضر الفقهاء والعدول والشهود وأعيان الناس ووجوههم وقضاة وأئمتهم، فحمد الله، وأثنى عليه، وجدد الشكر على توفيقه لإجراء هذه البنية الكريمة على يديه، وأنه تلقى هذه النعمة العظيمة بأن حبس ربع ما جرت إليه الوراثة عن أبيه أمير المؤمنين في جميع كور الأندلس وأقاليمها على تغور الأندلس تفرق عليهم غلات هذه الضياع عاما بعد عام على ضعفائهم إلا أن تكون بقرطبة مجاعة تفرق فيهم إلى أن يجبرهم الله وجعل القبض والنظر في هذا الحبس إلى حاجبه و سيف دولته جعفر (ت ٣٧٢ هـ / ٩٨٢م)، ودفع ذلك إلى كاتبه ووزيره عيسى بن فطيس، وأشهد الحاضرين على ذلك، وأشهد أيضا بعث كل مملوك من الذكران، وخرج غازيا إلى بلاد المشركين

وتلت زيادة المستنصر زيادة المنصور بن أبي عامر (٣٩٢ هـ / ١٠٠٢م) سنتات ٣٤٧هـ / ٩٥٨م) فأضاف أروقة جديدة على المسجد كله، وقد حول هذا المسجد بعد أن سقطت قرطبة في أيدي القشتاليين إلى كنيسة تسمى سانتاماريا الكبرى وما يدل أيضا على دور الأحياس في المساهمة دائما في بناء و ترميم المساجد النقش الكتاني يشير إلى مسجد بطليطلة، ولعله مسجد الباب المردوم، أقامه أحمد بن حديدة من ماله الخاص وهو من أعيان طليطلة استوزره إسماعيل بن ذي النون ملك طليطلة الملقب بالظافر ٤٢٧-٤٣٥ هـ / ١٠٣٥-١٠٤٣م فقد أضيف في عهده زيادة تتمثل في بلاط من أحياس المساجد، وما جاء فيه أي في ذلك النقش بسملة . قام هذا البلاط بحمد الله ودعوته على يد صاحب الأحياس الأمين عبد الرحمن بن محمد بن البيرولة (ت ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢م) وقاسم بن كهلان في شهر رجب سنة اثنين وثلاثين وأربع مائة ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠م فرحم الله المحبس، وصلى الله على محمد خاتم النبيين وآله وسلم.

كما اعتنى المرابطون بالمساجد عناية فائقة منذ اللحظات الأولى لقيام دولتهم، وعند ما بدأت قوتهم تتقدم نحو المغرب أخذوا يشجعون على بناء المساجد في المناطق المفتوحة، وأنفق علي بن يوسف (٤٧٧-٥٣٧ هـ / ١٠٨٤-١١٤٢م) أموالا طائلة في بناء المساجد وترميمها، ولم يكن البناء المرابطي أقل حماسا من الرجال في تشجيع حركة بناء المساجد، فوظفوا أموالهم في سبيل بناء يذكر فيه اسم الله، فتبرعت حرم أمير المسلمين الحرة بمبلغ من المال لتوسعة بعض المساجد وترسيمها.^١ وتنافس أهل الخير في تقليد قادتهم في بناء المساجد، فأثرت هذه الروح الدينية طول البلاد وعرضها، وهذا الاهتمام يتناسب مع رسالة دولة المرابطين التي كانت تسعى لرفع راية الإسلام عاليا، لذلك طغت الحماسة الدينية على الحربية حتى

^١ . الغساني، المسجد المسبوك والجوهر المحكوم في طبقات الخلفاء والملوك، ص ٩٩



أن مؤرخي الفن دهشوا لقلة القصور بالنسبة للمساجد. وقد توج علي بن يوسف أعماله العمرانية بتوسعة مسجد القرويين والتي أنفق فيها ٨٠ ألف ديناراً مرابطية، وكانت هذه الزيادة ضرورية لإكتظاظ مدينة فاس بالسكان، وازدحام المسجد خاصة يوم الجمعة بالمصلين، فكان الناس يصلون في الشوارع، فإتفق رأي وجهاء المدينة على ندب أحدهم إلى أمير المسلمين في مراكش، وإخباره بنفقات التوسعة التي ستعطي عن طريق محاسبة وكلاء الأقباس الذين كانوا يشتغلونها لصالحهم ظلماً وبهتاناً، فوافق أمير المسلمين وشجعهم عليه، فتعاقب على توسعته ثلاثة من القضاة.

وكان من بينهم أبو عبد الله محمد بن عيسى قاضي مدينة سبتة، فقام ببعض الإصلاحات في المسجد (القرويين) سنة ٥٠٥ هـ / ١١١١ م منها بناء الباب الغربي للمسجد، إلا أن الزيادة التي قام بها قاضي فاس عبد الحق بن معيشة الغرناطي الذي خطط لمشروع التوسعة ووفر نفقات التوسعة بعد محاسبة وكلاء الأوقاف حيث أبرزت المحاسبة ٨٠ ألف من الدنانير المرابطية، فشرع في شراء البيوت المجاورة للمسجد والتي تدخل ضمن التوسعة، وكان معظمها لليهود، فاشترها منهم بأثمان دون بخس وتجمع له من بيع أنقاضها مبلغاً ضخماً عوضه عن ثمن شرائها، كما قام عمال أعيان المرابطين بترميم وتوسيع المساجد في الرقعة الأندلسية وقد أسفرت عملية التنقيب في مدينة المرية عن الكشف عن زيادة منارة المسجد الجامع في المرية على يد قاضي الجماعة بحاضرة قرطبة وصاحب الصلاة في مسجد المرية (٨٢). وقد زاد أبو محمد عبد الرحمان بن مالك المعافري (ت ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م) في سقف جامع قرطبة، كما قام ببناء حمام فيه ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م، وآخر في غرناطة فاهتم الموحدون بالمساجد وأولوها عناية كجامع عمر بن عبدس الذي أمر بتشيدته الأمير عبد الرحمان الأوسط (٢٦- ٢٣٨ هـ / ٨٢١-٨٥٢ م) بإشبيلية، بناه القاضي عمر بن عبدس (ت ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م)، ولم يتعرض لأي زيادة ولما ضاق بالمصلين بني الموحدون جامع القصبة، وبعدها تعرض سقفه لهجوم النورماندين على إشبيلية سنة ٤٧٢ هـ / ١٠٧٩ م، حتى جاء المعتمد بن عباد فأصلحه من مال الأقباس، وقد حول الجامع إلى كنيسة عندما إحتل القشتاليون إشبيلية سنة ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م ثم هدم المسجد بسبب زلزال قوى فبنيت مكانه كنيسة، ويغلب الظن أن بناء هذا المسجد قد تأثر بهذا الزلزال فتصدعت جدارانه الغربية ومالت، وقد أمر الخليفة الموحد أبو يوسف يعقوب المنصور في جمادي الأول ٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م بترميمه وإقامة ركائزه معتمداً على مال الأقباس.^١

كما يلاحظ أنه في عهد بني نصر آخر ملوك غرناطة، عني أهل الأندلس بالمساجد، والأرض الطاحنة، التي أشار إليها ابن الخطيب بقوله: كانت تنتشر حول أسوار غرناطة وما ورائها من الأرجاء و النواحي من الرحي المائية على حد تقديره ما يقرب ١٣٠ رحي بالإضافة إلى الأبراج المزدهمة بغرناطة. و في أواخر بني نصر وفي جهادهم ضد النصارى استولى الكفار على مواضع محبسة على مساجد، وأفتى الفقهاء الأندلسيون بأن تصرف على مساجد المسلمين.

١ . غرسيا، الشعر الأندلسي: ص ١٤٥



٤-٢. مذهب الأوزاعي

فتحت الأندلس سنة ٩٢ هـ = ٧١١ م، وأصبحت منذ ذلك التاريخ جزءاً من العالم الإسلامي، وتدفق إليها المسلمون سواء مع الفاتحين أو بعد الاستقرار، وكان بينهم أحد الصحابة وعدد من التابعين، فقاموا جميعاً بنشر الإسلام في الأندلس، وقام الفقهاء منهم بحل المشاكل الفقهية وذلك قبل أن يكون هناك ما سمي بالمذهب الفقهي.

وعندما ظهرت المذاهب الفقهية انتشر مذهب الأوزاعي في بلاد الشام حيث كان الفقيه عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي إمام أهل الشام في عصره بلا مدافعة ولا مخالفة. ولما كانت بلاد الشام أول بلد عربي إسلامي بعيد الأثر في حياة الأندلس السياسية والإدارية والاجتماعية وحتى الدينية، كان أول مذهب فقهي غلب على الأندلس هو مذهب الإمام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي.

دخل مذهب الأوزاعي الأندلس في عهد الولاة، وفي هذا يقول ابن الفرضي في ترجمته لزهير بن مالك البلوي (توفي قبل ٢٥٠ هـ): (وكان فقيهاً على مذهب الأوزاعي على ما كان عليه أهل الأندلس قبل دخول بني أمية رحمهم الله. في حين ذهب القاضي عياض إلى أن الفقه على رأي الأوزاعي قد ساد الأندلس منذ الفتح، وتابعه في ذلك المقرئ).

ونعتقد أن هذه الآراء تعوزها الدقة، لأن الأندلس فتحت كما هو معروف سنة ٩٢ هـ، في حين كان مولد الإمام الأوزاعي في بعلبك سنة ٨٨ هـ. ومن المحتمل أن يكون مذهب الأوزاعي قد دخل الأندلس سنة ١٢٥ هـ حيث دخل الأندلس في هذه السنة عدد كبير جداً من أعلام أهل الشام مع بلج بن بشر الفشيري.^١

وفي خلال عهد الإمارة أصبح مذهب الأوزاعي الذي تدور عليه الفتيا في الأندلس تقوم عليه كل الدراسات الفقهية والمعاملات والتشريعات المختلفة. ويحدد أحد الباحثين المحدثين الفترة التي ساد بها مذهب الأوزاعي في الأندلس بقرابة أربعين عاماً، حيث بدأ بعد ذلك المذهب المالكي بالدخول إلى الأندلس وأخذ يحل بسرعة محل مذهب الأوزاعي.

إن الاحتكاك والاتصال الحضاري والثقافي بين بلاد الشام والأندلس من جهة، واستمرار انتقال العرب من بلاد الشام إلى الأندلس والاستيطان بها لا سيما عندما كانت الأندلس إحدى ولايات الدولة الأموية من جهة نوعاً من العلاقات الوطيدة والتأثير الشامل في مختلف نواحي الحياة ومنها الناحية الفقهية، مما ساعد على انتشار مذهب الأوزاعي إمام أهل الشام في الأندلس.

ازداد انتشار مذهب الأوزاعي على ما يبدو بعد نجاح عبد الرحمن الداخل في تأسيس الإمارة الأموية في الأندلس، حيث كان للعداء السياسي بين العباسيين وأمويي الأندلس من ناحية، ورغبة الأمير الداخل في إضفاء الطابع الشامي على دولته الفنية من ناحية ثانية، أثر في هذا الانتشار.

^١ . طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس السياسية: ج ١، ص ٣٢٢

ويرى بعضهم أن مما ساعد على انتشار مذهب الأوزاعي اهتمامه الخاص بالتشريعات الحربية وأحكام الحرب والجهاد، وهو أمر يتفق مع طبيعة الفترة الأولى من حياة الأندلسيين القائمة على الحرب والجهاد، وبالرغم من وجهة هذا الرأي وإمكان مساهمته في نشر المذهب، إلا أننا يجب أن نأخذ به بحفظ، إذ لو كان الأمر كذلك ما انقطع المذهب كلياً لأن الأندلس استمرت دار حرب و جهاد.

إن المعلومات التي وصلت إلينا عن مذهب الأوزاعي في الأندلس قليلة جداً يصعب معها إعطاء صورة متكاملة عن انتشاره، ونشاط فقهاء ومؤلفاتهم إن وجدت وأماكن انتشارهم ودورهم السياسي والاجتماعي والفكري وتذكر المصادر أن صعصة بن سلام الشامي الأندلسي (توفي سنة ١٩٢ هـ) هو أول من أدخل الأندلس مذهب الأوزاعي، وعليه كانت الفتيا دائرة . بالأندلس أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية وصدرًا من أيام هشام بن عبد الرحمن)، لا يناعه في ذلك أحد، فهو شيخ المفتين . وإمام الأوزاعية وراويته)، وقد انتفع بعلمه وتلمذ على يده عدة وروى عنه الكثير ومن الذين تفقهوا بمذهب الأوزاعي زهير بن مالك البلوي، الفرد بالأوزاعية دون أهل البلد . توفي . في صدر أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن رحمه الله، ومنهم عبد الملك بن مروان الذي كان يذهب أولاً مذهب الأوزاعي ثم رجع إلى مذهب مالك، وتذكر المصادر أيضاً بعض علماء الأندلس ممن روى عن الإمام الأوزاعي مثل المصعب بن عمران و محمد بن إسحاق وأسد بن عبد الرحمن الذي روى عن مكحول والأوزاعي . ولي قضاء كورة البيرة في إمرة عبد الرحمن بن معاوية رضي: وكان حيا بعد سنة خمسين ومائة، وقد استند أحد الباحثين إلى هذه الرواية وذكر أن أسداً هذا هو أول من أدخل مذهب الأوزاعي إلى الأندلس.^١

إلا أن الرواية عن القليل لا تعني الأخذ بمذهبه، فقد كان القاضي مصعب بن، مثلاً عمران. يروي عن الأوزاعي، كما ذكرنا، في حين أنه كان لا يقلد مذهباً ويقضي بما يراه صواباً فضلاً عن أن نص ابن الفريسي عن أسد ابن عبد الرحمن يستشف منه الرواية فقط عن الأوزاعي دون الأخذ بمذهبه، وكثيراً ما يحدث مثل ذلك، وسوف يتبين بوضوح عند حديثنا عن دخول المذهب المالكي إلى الأندلس أن الرواية عن الفقيه لا تعني الأخذ بمذهبه.

ساد العمل بمذهب الأوزاعي في الأندلس حتى دخول مذهب الإمام مالك، إلا أن دخول هذا المذهب لا يعني انقطاع الناس كلياً عن العمل بمذهب الأوزاعي، فقد كان مذهب الأوزاعي ظاهراً بالأندلس إلى حدود العشرين وميتين ثم تناقص، ومنهم من يرى أنه انقطع بعد المنتين.

إلا أننا نجد من تفقه بمذهب الأوزاعي لنفسه وانفرد به دون أهل الأندلس حتى السنوات الأولى من حكم الأمير محمد بن عبد الرحمن الذي حكم بين سنتي ٢٣٨ - ٢٧٣ هـ = ٨٥٢ - ٨٨٦ م، وليس ذلك حسب بل إن صدى مذهب

١ . طارق، دعوة لاستلهم إنجازات الحضارة، ج٢، ص ١١٩

الأوزاعي استمر بالأندلس حتى بعد انقطاعه وعدم الأخذ به كلياً، حيث خالف أهل الأندلس مذهب مالك بإجازتهم غرس الأشجار بالمسجد أخذاً منهم بمذهب الأوزاعي.

ثانياً: المذهب المالكي

قدر للمذهب المالكي أن يكون محوراً للحياة الفقهية في الأندلس تدور عليه وعلى كتبه معظم دراسات الأندلسيين وتدرّساتهم ومؤلفاتهم وشروحهم واختصاراتهم، إضافة إلى كونه المذهب الذي بموجبه ووفق آرائه حلت معظم المشكلات الفقهية المتعلقة بالمعاملات والتشريعات والعبادات وغيرها من المشكلات المتعلقة بالاقتصاد والاجتماع والسياسة والأخلاق. وحتى الحياة العلمية وأعرافها وجدت في سلوك مالك وطريقته قدوة لها، وعلى هدي آرائه سارت الأندلس في حياتها العامة والفقهية منها بشكل خاص، حتى نهاية المسلمين بالأندلس.

- دخول المذهب المالكي إلى الأندلس

لم يستطع مذهب الأوزاعي أن يصمد طويلاً في الأندلس، حيث بدأ يتلاشى ويتناقص عدد الآخذين به منذ أخذ المذهب المالكي بالدخول إليها.

إن الرحلة في طلب العلم من أبرز مستلزمات الثقافة، وهي من السنن الحميدة في العالم الإسلامي إبان تلك العصور، ومن أقوى الأسباب التي أدت إلى خلق البيئة الثقافية والناظر في كتب التاريخ والتراجم يرى أن الأندلسيين كانوا أكثر الناس رحلة إلى المشرق يأخذون عن شيوخه وأعلامه ثم يعودون إلى بلادهم.

لقد رحل الأندلسيون إلى الحجاز حيث مالك بن أنس والفقه المالكي، وسواء أكان الهدف من رحلتهم الحج أم طلب العلم، فالرحلة ذات فائدة مزدوجة، وإلى هؤلاء الحجاج المطلبية أو الطلبة الحجاج يرجع الفضل في دخول المذهب المالكي إلى الأندلس.^١

لقد عرف جملة من الأعلام الأندلسيين الإمام مالك بن أنس ورحلوا إليه وسمعوا منه ورووا عنه منذ السنوات الأولى لعصر الإمارة، منهم: القاضي معاوية بن صالح الذي تولى قضاء قرطبة للأمير عبد الرحمن بن معاوية، وقد توفي معاوية قبل الإمام مالك بنحو عشر السنين، ومنهم: سعيد بن أبي هند (الذي توفي قبله) أي قبل الإمام مالك بنحو ثلاثين سنة، ومنهم: عبد الرحمن بن موسى الهواري الذي رحل في أول خلافة الإمام (كذا) عبد الرحمن بن معاوية، فلقي مالك بن أنس، ومنهم أيضاً: محمد بن إبراهيم بن مزين الأودي، وشبظون بن عبد الله، وحفص بن عبد السلام السلمي، وزيايد بن عبد الرحمن بن غير ذلك المعروف بشبظون، وسعيد بن عبدوس وغيرهم.

^١ . شكيب، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ج ٢، ص ٢٢٠



الملاحظ أن هؤلاء جميعاً كانوا محدثين ولم ينتبهوا إلا إلى ناحية الحديث عند مالك سمعوا منه ونقلوا عنه على أنه فقيه محدث ودخلوا الأندلس فقهاء محدثين . وهم الذين وضعوا أسس الدراسات الفقهية في الأندلس ولكنهم لم يكونوا من مؤسسي المالكية، ولو أن قسماً من هؤلاء ممن طال عمره وأدرك انتشار المالكية في الأندلس اعتنق المذهب المالكي وترجم له القاضي عياض في كتابه الكبير عن أعلام المالكية.

إلا أن هذا لا يعني عدم اتفاقي مع رأي الدكتور حسين مؤنس المذكور آنفاً، فقد كان هؤلاء حقاً بداية الأمر محدثين رواة للعلم، إذ أن. العناية بالحديث وطلبه هو التفقه، وعلى هذا الأساس ذكرهم القاضي عياض في كتابه تحت عنوان: طبقة أخرى . ممن روى عنه (أي عن مالك) العلم من مشاهير الأئمة وتفقه عنده وجالسه من جلة العلماء، وأن مذهب الأوزاعي في الوقت الذي رجع فيه هؤلاء إلى الأندلس كان هو المذهب السائد وعليه تدور الفتيا، حيث كان صمصعة ابن سلام تلميذ الأوزاعي وراويته، شيخ المفتين وإمام الأوزاعية بقرطبة، كما ذكرنا سابقاً. إضافة إلى أن المذهب المالكي لم يدرس ولم يعرف حقه إلا بعد أن رحل إلى الإمام مالك زياد بن عبد الرحمن وفرعوس بن العباس، والغازي بن قيس، ومن بعدهم؛ علماً بأن زياداً قد رحل كما يقول ابن القوطية بعد عام من ولاية هشام بن عبد الرحمن، والمعروف أن هشاماً ولي الحكم سنة ١٧٢هـ.

أما فرعوس بن العباس الذي كان علمه بالمسائل على مذهب مالك وأصحابه ولا علم له بالحديث، فقد ذكر ابن الفرضي في ترجمته أن أباه قد ولي السوق بالأندلس وكان رجلاً يضرب ضرباً شديداً ويشدد على أهل الريب، فسأل فرعوس مالكا عن الضرب الذي كان أبوه يضرب الناس.^١

وذكر ابن الفرضي حكاية وقعت له مع الحكم أو هشام)، والراجح أنها مع هشام؛ لأن فرعوساً سأل الإمام مالك عن تصرفات أبيه عندما كان على السوق، وبما أن الإمام مالك قد توفي سنة ١٧٩هـ، فمن هذا تخلص إلى أن فرعوساً رحل إلى مالك في زمن الأمير هشام الذي توفي سنة ١٨٠هـ. أما الغازي بن قيس الذي يرجع إليه الفضل مع زملائه في إدخال المذهب المالكي إلى الأندلس، فالمصادر تحدثنا عن رحلته إلى الشرق ولقائه مع الإمام مالك منذ أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية، وتشير أيضاً إلى أنه أول من أدخل الأندلس موطأ مالك، إلا أنها أوضحت أن الغازي شهد مالكا وهو يؤلف الموطأ ظاهراً وانصرف إلى الأندلس بعلم عظيم.

فمن هذا نستشف أن الموطأ لم يدخل كاملاً مع الغازي بن قيس، ولهذا كان يقدم أو يؤخر فيرد عليه ذلك، ومما يؤكد ذلك أن المصادر ذكرت أن أول من أدخل الموطأ إلى الأندلس هو زياد بن عبد الرحمن، المعروف بشببطون كما سنرى ويبدو أن زياداً هذا قد أدخل نسخة ثانية من الموطأ، إلا أنها كانت أكمل وأوسع من نسخة الغازي بن قيس.

^١ .ربيرا، التربية الإسلامية في الأندلس: ج ١، ص ١١٠

وبناء على ما تقدّم فإننا نستطيع القول: إن المالكية بوصفها مذهباً فقهياً، وضعت أسسها بالأندلس في أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية وعلى الأكثر في أواخر أيامه، وأخذ بناؤها يتكامل منذ أيام ابنه هشام.

ففي السنة الثانية من ولاية الأمير هشام بن عبد الرحمن رحل زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون إلى المشرق ولقي الإمام مالك بن أنس، وكان أي زياد يسميه أهل المدينة فقيه الأندلس، وهو أول من أدخل الأندلس موطأ مالك مثقفاً بالسماع منه (هـ)، فأتى به مكملًا متقناً فأخذه عنه يحيى بن يحيى الليثي قبل أن يرحل إلى مالك، ثم رحل فأدرك مالكا فرواه عنه (أي الموطأ) إلا أبواباً في كتاب الاعتكاف شك في سماعها من مالك فأبقى روايته فيها عن زياد عن مالك.

ويحيى بن يحيى هذا هو آخر الأعلام الأندلسيين الذين سمعوا مالكا وأخذوا عنه مباشرة، وقد رحل إليه بناء على نصيحة شيخه زياد بن عبد الرحمن، وكان لقاءه لمالك سنة تسع وسبعين ومائة) السنة التي مات فيها مالك، ثم عاد إلى الأندلس بعلم كثير . وأخذ عليه في روايته في الموطأ . وأتبعه الرواة عنه وقد عرفها الناس وتبينوا صوابها، واستطاع بعد ذلك أن يضيف ثقلًا جديدًا للمذهب المالكي في الأندلس.

بالإضافة إلى ما تقدم فقد رحل إلى المشرق مجموعة أخرى من أعلام الأندلس والتقوا بالإمام مالك بن أنس وسمعوا منه، أمثال يحيى بن مضر، ومحمد بن بشير القاضي، وحسان بن عبد السلام السلمي الذي لزم مالكا مدة سبعة أعوام، وسعيد بن أبي هند و بھؤلاء وغيرهم دخل المذهب المالكي إلى الأندلس من أوسع الأبواب، ولم يمض وقت طويل حتى أصبح المذهب السائد في الأندلس.

– أسباب انتشار المذهب المالكي في الأندلس:

حظيت الأسباب التي أدت إلى انتشار المذهب المالكي في الأندلس باهتمام عدد من الباحثين قدامى ومحدثين فمنهم من عزا انتشار المالكية إلى سبب واحد، ومنهم من قدم لذلك أسباباً عدة. والحق أن الباحث يجد الأسباب كثيرة ومتداخلة، وعلى الرغم من رجحان بعضها على بعض إلا أنها جميعاً ساهمت بطريقة ما في انتشار المالكية في الأندلس. وسوف نحاول فيما يأتي أن نعرض لهذه الأسباب من خلال تقسيمها إلى ثلاثة أقسام: سياسية، وذاتية، واجتماعية.^١

٤-٣. الأسباب السياسية

لقد أسهمت الأسباب السياسية في نشر المذهب المالكي في الأندلس، فقد كان للعلاقات السياسية السيئة بين العباسيين وأمويي الأندلس أثرها في ذلك، إذ أن قيام الدولة الأموية في الأندلس يعني انسلاخ جزء مهم عن جسم الخلافة الإسلامية، أي الخلافة العباسية، لهذا شعر أمويو الأندلس بالحاجة إلى الشرعية مما جعل عبدالرحمن الداخل يخطب للعباسيين ردحاً من

^١ .خوليان، التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، ج ١، ص ١٧٨



الزمن ثم قطع الخطبة، إلا أنه لم يتخذ لقب خليفة أو أمير بل كان يخاطب بلقب ابن الخلائف، وظلت العملة تضرب على أيامه وأيام ابنه هشام باسم الخليفة العباسي ومع ذلك فقد حاول العباسيون إسقاط الدولة الأموية في الأندلس. صحيح أنه لم تحدث مواجهة مباشرة بين الطرفين غير أن العباسيين كانوا بطريقة ما وراء حركة العلاء بن مغيث الحضرمي، وحركة عبد الرحمن بن حبيب الفهري المعروف بالصقلي.

أما الدولة الأموية في الأندلس فلم تسهم فأ أو تشترك أو تقف وراء أي عمل عسكري مباشر موجه للخلافة العباسية، إلا إذا استثنينا ما أظهره الداخل سنة ١٦٣ هـ من الرحيل إلى الشام لانتزاعها من بني العباس، غير أنه عدل عن فكرته بسبب مشاكله الداخلية كما تقول الرواية، وما إقامته الدولة الأموية من صلات ودية مع خصوم العباسيين، وعموماً فقد استمرت العلاقات بين الدولتين سلبية.

وبجانب هذه العلاقة السلبية بين الدولتين كانت هنالك علاقة أخرى غير جيدة وسلبية بين الإمام مالك والعباسيين والباحث يستطيع أن يلمس ذلك في موقف الإمام مالك المؤيد لثورة محمد بن عبد الله بن الحسن على العباسيين في سنة ١٤٥ هـ، ويلمسها فيما أصاب الإمام مالك. من ضرب على يد والي العباسيين في المدينة، وهو ما اصطاح المؤرخون على تسميته بالحننة، ويلمسها أيضاً في رفض الإمام مالك طلب العباسيين وضع كتاب جامع في الفقه يأخذون الأمة عليه، وفي عدم تلبية دعوتهم في الذهاب إلى مدينة السلام.^١

ومما تقدم يظهر أن سوء العلاقة بين العباسيين وأمويي الأندلس من جهة، وبين العباسيين والإمام مالك من جهة أخرى، قد أثرت تأثيراً واضحاً في علاقة الإمام مالك بأمويي الأندلس التي طغت عليها الصفة الإيجابية.

لقد صورت لنا المصادر الأمير هشاماً ثاني أمراء الدولة الأموية بالأندلس والمعاصر للإمام مالك بأنه كان ورعاً تقياً شغوفاً بالجهاد كثير الصدقات، يعود المرضى ويشهد الجنائز، من أئمة العدل وبمنزلة عمر بن عبد العزيز في قومه بالأندلس، ولم تعرف منه هفوة في حديثه ولا زلة في أيام صباه.

أن هذه الصورة المثالية التي ذكرتها المصادر قد يكون فيها شيء ومع من المبالغة، غير أنها وصلت إلى أسماع الإمام مالك، فلما وصفت بن أنس ونشرت فضائله عنده قال: وددت أن الله زين موسنا سيرته لمالك به.

ومما هو جدير بالذكر أن بعض المصادر تذكر أن هذه المقولة قيلت الداخل فإن ذلك مظهر واضح لتأكيد هذا الخبر المروي عن ميل مالك. غير الضعيف. لأمويي الأندلس.

" والمهم أن عدم رضى الإمام مالك عن العباسيين وعبارة الثناء على أمويي الأندلس قد وصلت إلى أسماع الأمير هشام، الذي لم يخف كذلك إعجابه بالإمام مالك وتقريبه لفقهاء المالكية، فعندما مر ذات يوم بسعيد ابن أبي هند قام له هذا

^١ . حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي، ج ١، ص ١٢٣

وحياه، فقال له هشام: لقد ألبسك مالك ثوباً جميلاً، ومنها يُستشف تكريم الأمير هشام لسعيد الذي كان الإمام مالك يسميه: الحكيم، كما يستشف منها تتبعه لأخبار الإمام مالك.

وأراد الأمير هشام بإلحاح أن يولي القضاء في قرطبة أحد تلاميذ الإمام مالك البارزين وأحد مؤسسي المالكية في الأندلس، زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبظون، فأبى وخرج هارباً بنفسه إلى أن أمنه فرجع إلى مسكنه، وكان هشام يؤثر زياداً ويكرمه ويسهم إليه ويخلو به ويسائله عما يعن إليه من أمور دينه، فيأخذ برأيه ويبالغ في بره، علماً بأن زياداً كما تشير إحدى الروايات، هو الذي أفضى إليه الإمام مالك بمقولته أعلاه بحق الأمير هشام مما قد يفسر اهتمام الأمير هشام المذكورة في المتميز بالفقيه المالكي زياد بن عبد الرحمن.

ومن مظاهر تكريم الأمير هشام للإمام مالك بن أنس، عفو عن خادم كان قد غضب عليه وأمر بقطع يده وكان زياد بن عبد الرحمن حاضراً فذكره بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في كظم الغيظ، كان قد سمعه من الإمام مالك، وعندها سكن غضب الأمير وقال له أحسنت أن مالكا حدثك بذلك. فأمر الأمير أن يُمسك عن يد الخادم وعفا عنه. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن أحد المصادر ذكر أن الأمير هشام أخذ . الناس جميعاً بالتزامهم مذهب مالك وصير القضاء والفتيا عليه وذلك في عشرة السبعين ومائة من الهجرة في حياة مالك رحمه الله تعالى، ومن هذا النص نتبين نوعاً من المبالغة يؤكد ما قيل من اختراع بعض المعلومات في عصور متأخرة الغاية منها تعظيم أمر المالكية في الأندلس. فالأمير هشام - وإن طلب من الفقيه المالكي زياد بن عبد الرحمن أن يتولى قضاء الجماعة فرفض - قد عين في هذا المنصب الحساس رجلاً آخر لا يمت إلى المالكية بصلة وهو المصعب بن عمران الذي استمر في هذا المنصب طيلة أيام هشام، والذي وصفه ابن الفريسي بأنه كان لا يقلد مذهباً ويقضي ما راه صواباً، فضلاً عن أن مصعباً كان يستفتي ويشاور في أحكامه صعصعة بن سلام الأوزاعي المذهب.

وبعد، فكيف يمكن الأخذ بالرواية التي تذهب إلى أن الأمير هشاماً أخذ الناس بالتزامهم مذهب مالك وصير القضاء والفتيا عليه. وفي العموم، فالأمير هشام ساعد على اتساع قاعدة المذهب المالكي في الأندلس من خلال احترامه وتكريمه للإمام مالك وتقريبه لفقهاء مذهبه في الأندلس، إذ ليس من الصواب بمكان ألا يقرب فقهاء ينتسبون إلى مذهب رجل وصلت إليه منه أخبار أنه يثني عليه من جهة، ويطنخي على علاقاته مع بني العباس طابع عدم الرضا من جهة أخرى. كما أن تبني أهل الأندلس للمذهب المالكي يحقق لهم استقلالاً مذهبياً يعزز بطريقة ما استقلال السلطة السياسي عن الدولة العباسية، ويضفي عليها صفة الشرعية من وجهة نظر الشعب الأندلسي في أقل تقدير.



٤-٤. الأسباب الذاتية

قدر للإمام مالك أن ينال من الصيت والمكانة العلمية الشيء الكثير، وكان أتباعه وطلبته المنتشرون في مختلف بقاع العالم الإسلامي يتحدثون عن علمه وسمته وشمائله وأسلوبه في الحياة.

لقد كان لمكانة الإمام مالك العلمية أثرها البارز في كثرة أتباعه والراجلين إليه بقصد السماع منه، وقد ساعد على ذلك عمره الطويل نسبياً، كما كان للمدينة أثر لا يخفى فهي دار الهجرة وهو إمامها وبها قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وفيها عدد من أبناء الصحابة والتابعين، يؤمها الناس في كل عام الغرض زيارة الرسول فتنهياً لهم فرصة السماع من علمائها، وكان الإمام مالك أبرزهم، إضافة إلى ما تمتع به من هبة ووقار أضفى على شخصيته ميزة أخرى، فقد وصفه غير واحد ممن شاهدوه أو سمعوا منه بأنه كان مهيباً، وقال عنه سعيد ابن أبي هند: ما هبت أحداً هبتي عبد الرحمن بن معاوية يريد ملك الأندلس، حتى حججت فدخلت على مالك فهبته هيبة صغرت هيبة ابن معاوية، وكان الإمام مالك نفسه يقول: إنه يعلي بهذه المهابة جاه العلم.

ومن مظاهر هيئته أنه كان كالسلطان له حاجب يأذن عليه، كما كان جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير تسمناً وأدباً، ولهذا فلا غرو أن يطلق عليه لقب أمير المؤمنين بالحديث.

إضافة إلى ما تقدم فقد كان الإمام مالك شديد الاهتمام بطلابه، وقد وصف بأنه أشد الناس مداراة للناس، فكيف إذا كان هؤلاء الناس من تلاميذه ممن يحملون أفكاره ومن مظاهر اهتمامه بهم دعوتهم إلى بيته لتناول الطعام، وعندما سأله أحدهم عن ذلك قال: إنما دعوتكم لأبركم، ومنها أيضاً ما كان يحيطهم به من احترام وما يضيفي عليهم من ألقاب، ونحن نلمس ذلك بوضوح مع طلابه الأندلسيين، فقد سمى سعيد بن أبي هند حكيماً الأندلس، وسمى يحيى بن يحيى الليثي عاقل الأندلس. أما حفص بن عبد السلام السلمي من أهل سرقسطة فقد كان مالك يدي منزله، في حين كان أهل المدينة يسمون زياد بن عبد الرحمن فقيه الأندلس.

إن هذا الاهتمام بطلابه عامة وبالأندلسيين منهم خاصة، ربما يفسر لنا رغبة الإمام مالك في نشر مذهبه، حيث كان أكثر أصحاب المذاهب الفقهية الكبرى تنبهاً إلى أهمية تكوين المدرسة، فقد عرف عنه قوله: لا ينبغي لأحد عنده علم أن يترك التعليم، وكان يوصي بذلك طلبته إذا ودعه أحد من طلبة العلم عنده يقول لهم: اتقوا الله في هذا العلم ولا تنزلوا به دار مضیعة وبثوه ولا تكتمونه.

وقد تهيأ للمذهب المالكي حقاً طلبة يلتزمون بأقواله وأفعاله ويتخذونها سلوكاً لهم في حياتهم، كما عرفوا بالعلم والنشاط والمثابرة في نشر المذهب، وهذا ما نلمسه في الأندلس، فعندما رجع إليه الراحلون إلى المشرق وصفوا من فضل مالك وسعة

علمه وجلالة قدره ما أعظم به صيته بالأندلس، كما أدخلوا معهم موطأة وتناولوه بالدرس والتدريس والشرح والاختصار والتبويب والتأليف وقد ساعد كل ذلك فيما بعد المذهب المالكي سائداً في بلادهم.

ومن أبرز هؤلاء الأتباع - سواء ممن أخذوا عن أخذوا عن الإمام مالك مباشرة أو أخذوا عن بعض أصحابه - الفقيه عيسى بن دينار الذي رحل قسم من ابن القاسم وصحبه وعول عليه وانصرف إلى الأندلس فكانت الفتيا تدور عليه لا يتقدمه في وقته أحد.

ومنهم الفقيه يحيى بن يحيى الليثي، الذي رحل إلى الإمام مالك فسمع منه وقدم الأندلس بعلم كثير فعادت فتيا الأندلس بعد عيسى بن دينار إلى رأيه وقوله، وإليه انتهت الرئاسة بالفقه في الأندلس وبه انتشر مذهب مالك وتفقه به جماعة لا يحصون.

ومنهم الفقيه عبد الملك بن حبيب صاحب التوايف الكثيرة في الفقه والتواريخ والآداب والذي قيل عنه: إنه كان ذاباً عن قول مالك، وإنه خرج من الجامع وخلفه نحو من ثلثمائة من طالب حديث وفرائض وفقه وإعراب، وقد رتب الدول عليه كل يوم ثلاثين دولة لا يقرأ عليه فيها شيء إلا تأليفه وموطأ مالك.

والتدريس أسلوب ناجح في نشر الأفكار والمذاهب، إذ سرعان ما يخرج من بين هؤلاء الطلاب فقهاء يتبنون مهمة نشر المذهب سواء بالتدريس أو بغيره مما يكتب له الاستمرار والبقاء.

وقد روي عن محمد بن عمر بن لبابة قوله: فقيه الأندلس عيسى بن دينار، وعالمها عبد الملك بن حبيب وعاقلاها يحيى بن يحيى الليثي.^١

وقد عمل هؤلاء وغيرهم على نشر المذهب المالكي في الأندلس وحظي يحيى بن يحيى الليثي من بينهم بنصيب أوفر بسبب تمكنه السلطة، حيث كانت تستشير في كل ما أشكل عليها من أمور ولا سيما القضاء، فكان لا يشير إلا بمن هم على مذهب الإمام مالك، وفي هذا يقول ابن حزم مذهباً انتشرا في بدء أمرهما بالرئاسة والسلطان، مذهب أبي حنيفة فإنه لما ولي قضاء القضاة أبو يوسف كانت القضاة من قبله فكان لا يولي قضاء البلاد من أقصى المشرق إلى أقصى أعمال أفريقيا إلا أصحابه والمنتسبين إلى مذهبه ومذهب مالك بن أنس عندنا فإن يحيى بن يحيى كان مكيناً عند السلطان مقبول القول في القضاء، فكان لا يلي قاض من أقطارنا إلا بمشورته واختياره ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه، والناس سراع إلى الدنيا والرياسة فأقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم به.

إن قيمة هذا النص مزدوجة، فهو يبرز أهمية الدولة في نشر المذهب، كما يبرز أهمية تولي واحد من أتباع المذهب منصباً رسمياً رفيعاً أو مكانة مرموقة لدى السلطة فينشر من خلال ذلك مذهبه.

١ . الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج ١، ص ٢١٢

وإذا ما علمنا أن من بين أسباب الاندثار لكثير من المذاهب ومنها مذهب الأوزاعي ما يرجع إلى أن أصحابه وتلاميذه لم يهتموا بنشر مذهبه و تدوين أقواله ونصرتها كاهتمام أصحاب المذاهب الأخرى أو مذهب الإمام الليث بن سعد الذي لم يرزق من الأصحاب والتلاميذ من ينشر مذهبه ويدون آراء كما رزق غيره من معاصريه من الأئمة، ندرك بعد ذلك الدور الذي لعبه تلاميذ الإمام مالك وأصحابه في نشر مذهبه واستمرار بقائه لا سيما في الأندلس حيث ساعد على ذلك طبيعة المذهب المالكي وما فيه من قوة وحيوية وأصالة من جهة، وطبيعة المجتمع الأندلسي من جهة أخرى.

تضافرت الأسباب للمذهب المالكي في الأندلس ومكنته من الانتشار بسرعة بحيث لم يمض وقت طويل حتى أصبح هو المذهب السائد في المجتمع. إن نمو المذهب المالكي استمر دون توقف منذ زمن الأمير هشام بن عبد الرحمن (١٧٢ - ١٨٠ هـ - ٧٧٨ - ٧٩٦ هـ)، ومع حلول القرن الثالث الهجري أصبح المذهب الأول في الأندلس وشهد إقبالا منقطع النظير من أبناء المجتمع، وأصبح للفقهاء المالكية مركز القيادة والكلمة المسموعة، وهذا ما يمكن معه القول أنهم صاروا بحق يمثلون سلطة الشعب ويتجلى ذلك بوضوح في أيام الحكم بن هشام (١٨٠ - ٢٠٦ هـ - ٧٩٦ - ٨٢٢ هـ)، الذي كان مثالا إلى اللهو مولعا بالصيد، يؤثر مجالس الندماء والشعراء على مجالس الفقهاء والعلماء، وكانت سياسته ترمي إلى الحد من نفوذ الفقهاء وإبعادهم عن التدخل في شؤون الدولة، فأعلنوا معارضتهم له وانتقادهم لسياسته، كما البوا العامة عليه وأشعلوا الثورة المعروفة بثورة الرض في وجهه، كما سيتضح. عند الحديث عن دور الفقهاء في الحياة السياسية.

إنَّ العلاقة السياسية السيئة بين الأمير الحكم بن هشام وفقهاء المالكية جعلت بعض الباحثين يعتقد بأن سيادة المالكية في الأندلس لم تبدأ إلا. ثورة الرض)، أي بعد تراجع الأمير الحكم عن موقفه من الفقهاء وإصداره عفواً عن المشتركين منهم بالثورة وتقريبه إياهم ومشاورته لهم فيما بعد.

الواقع أن سيادة المذهب المالكي لم تأت عن طريق السلطة وإنما جاءت عن طريق المجتمع، ولو لم تكن للمالكية السيادة ولفقهاؤها القيادة في المجتمع ما استطاعوا أن يعلنوا الثورة. فالثورة جاءت دليلاً أكيداً على هذه السيادة، وإنَّ تراجع الأمير الحكم عن معاداته للفقهاء وتقريبه لهم بعدها إنما جاء نتيجة لشعوره بمكانة الفقهاء في المجتمع وطاعته لهم. ومما يؤكد هذا الشعور سجنه للفقهاء المعروف عيسى بن دينار الذي امتحن . يميل الناس إليه حتى شرف مكانه القاضي والوالي . فوجه الأمير الحكم فيه وسجن بقرطبة نحو عام.^١

كما جاء نتيجة لشعوره بأن ملكه لا يمكن أن يقوم على القوة العسكرية وحدها، وأنه بحاجة إلى تأييد علماء الدين ليستعيد أهليته للحكم في نظر رعيته، ولكي يطمئن على مصير البيت الأموي.

١. أصبهاني، تاريخ الأدب الأندلسي، ج ٢، ص ٢٣١

ويمكن القول أنّ ما طرأ على موقف الأمير الحكم بعد ثوره الرض في الأندلس لم يكن في حقيقته بداية لسيادة المالكية وإنما كان دعماً لهذه السيادة التي تجلت بأروع صورها في زمن ابنه عبد الرحمن (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ = ٨٢٢ - ٨٥٢ هـ)، الأمير الذكي الذي أدرك منذ البداية ما لم يدركه أبوه في بداية حكمه مكانة الفقهاء في المجتمع ودورهم في تثبيت الأمن والنظام وإضفاء الشرعية على الحكم، ويبدو أنه استفاد مما حققه جده الأمير هشام بن عبد الرحمن من التقرب إلى الفقهاء في الوصول إلى الحكم بالرغم من وجود أخيه الأكبر سليمان الذي اعتمد أهل السياسة ومما حدث لأبيه الأمير الحكم من اضطرابات ومشاكل بسبب ابتعاده عن الفقهاء.^١

ولهذا ارتفعت مكانة الفقهاء ونفوذهم في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم ووصلت إلى أقصى ما وصلت إليه في الأندلس، فقد أشركهم في إدارة شؤون دولته، واستشارهم فيما أشكل عليه من أمور دينه ودنياه، وألف منهم جماعة رسمية للمشاورة عرفت بـ الفقهاء المشاورين، وقرب زعيمهم في عهده الفقيه يحيى بن يحيى الليثي وخصه في كل صغيرة وكبيرة، شخصية كانت أم عامة دينية أم دنيوية، فعلت منزلته وأصبح قادراً على التأثير ولا سيما في القضاة، يعزل من يشاء ويعين من يشاء، أو كما قال ابن عبد البر: انتهى السلطان والعامّة إلى رأيه.

ونتيجة لذلك كله أصبح الفقهاء أشبه ما يكونون بدولة داخل دولة ومما يدل على ذلك قول ابن حبان وهو يذكر قاضي الجماعة بقرطبة يخامر بن عثمان: لما بلا أمر الحكومة بقرطبة ونظر إلى قدر الشيخ ابن يحيى (الليثي) عند أهلها وغلبته على نفوسهم وطواعيتهم له، ضاق صدرًا به فكتب إلى الأمير عبد الرحمن: إني قدمت إلى قرطبة فوجدت فيها أميرين، أمير الأخيار وأمير الأشرار، فأما أمير الأخبار فيحبي بن يحيى، وأما أمير الأشرار فأنت.

ومما هو جدير بالذكر أن الأمير عبد الرحمن قد ضاق ذرعاً بما وصلت إليه الأمور وما صار إليه الفقهاء من نفوذ ولا سيما ما صار إليه الفقيه يحيى بن يحيى الليثي، فقد نقل إلينا ابن حبان هذه الصورة فقال: كان الأمير عبد الرحمن قد ضاق ببحي بن يحيى والفقهاء الضالعين معه في كل ما يشير به ولا يخالفون عن أمره، فكان الأمير عبد الرحمن يكره تأليهم ويقلق منهم ويسميهم سلسلة السوء.

إن قلق الأمير عبد الرحمن هذا ربما يفسر لنا سبب تعيينه يخامر بن عثمان في منصب قاضي الجماعة بقرطبة، وهو أسمى منصب ديني عرفته الأندلس، وذلك من أجل وضع حد لنفوذ الفقهاء المتزايد. إن مع العلم يخامر هذا لم يكن في مستوى المسؤولية فهو شخصية ضعيفة مجهولة، ولما ولي القضاء عامل الناس بخلق صعب ومذهب وعر وصلابة جاوزت المقدار، فلم تحتمل العامة له ذلك فسَلَّطت عليه الألسن وكثرت فيه المقالة و انبرى له رجل من شعراء قرطبة في ذلك الزمان وهو المعروف بالغزال فكان يهجوه ويصفه بالبله والجهل.

^١ . متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري: ص ٢٤٣

كما أن يخامر لم يكن من فقهاء المالكية على ما يبدو، فلم يترجم له القاضي عياض في كتابه الكبير عن فقهاء المذهب المالكي، ولم يشير إلى ذلك أيضاً من ترجموا له من المؤرخين.

ولم يقف الأمر عند ذلك بل إن الأمير عبد الرحمن الما ولى يخامر بن عثمان القضاء حفظه منهم، وسماهم له هذا الاسم (أي سلسلة السوء)، فتجنبهم يغامر وأخذ حذره منهم، فلم يلبث أن تمالؤوا عليه فأفشوا ذله وأبدوا عيبه وكرهوه إلى الناس وأعملوا أقلامهم فيه إلى الأمير حتى أمر يعزله.^١

وقد كشف لنا يخامر عن مهمته بنفسه عندما أتاها الفتى من عند الأمير يحمل أمر عزله فقال له يخامر على رؤوس الناس: قل للأمير أصلحه الله إذ ولينتي أمرتني أن الحفظ من السلسلة السوء واليوم تعزلي بيغيها على !! فلما بلغ الفتى قوله إلى الأمير قال: قبحه الله، ذكر أسرارنا على رؤوس الناس.

على كل حال إن عزل يخامر عن القضاء يعني فشل محاولة الأمير عبد الرحمن في الحد من نفوذ الفقهاء من جهة واستجابته لرغبات جمهور العامة بزعماء الفقهاء أنفسهم من جهة ثانية.

استمد فقهاء المالكية قوتهم ونفوذهم من الشعب الذي تبني المذهب المالكي، والذي قدر له السيادة المذهبية في الأندلس بلا منازع.

إلا أن السيادة المذهبية لا تعني الانغلاق الكامل على مذهب واحد، فمثل هذا الأمر لا يمكن أن يتم عملياً ولا حتى نظرياً ولا سيما في المجتمع الإسلامي عندما كانت الرحلة مشاعة والناس يتنقلون من بلد إلى آخر دون قيود أو حواجز، فيصبح الاحتكاك بين المجتمعات كبيراً، وهذه إحدى نعم العصور الوسطى الإسلامية، حيث تنتقل الأفكار والمذاهب بين مجتمع وآخر.

^١ . المنوني، التاريخ الأندلسي من خلال النصوص، ص ٢٢٢

الخاتمة و النتائج

الحمد لله الذي أنعم علينا بإتمام هذه الرسالة الموسومة (بتقصي الدور العلمي للعلماء الأندلسيين في ازدهار الحضارة الاسلامية (الفترة الاموية)) و حصلنا على عدة نتائج:

أولاً: من أهم إنجازات الدولة في الأندلس هي إنجازاتها و نشاطاتها في المجال العسكري و الإجتماعي و التجاري و العمراني و الثقافي و الأخلاقي خاصة في فترة حكم عبدالرحمان بن الحكم. و كانت من المدن الموسعة مساحة و إتساعاً في سنة ٩٣٥، كما يمكن التطرق الى نهضة العلوم في الأندلس رغم الخلاف الموجود في ديانة علمائهم و خلفياتهم العرقية و التعليم العام الموجود ذلك الوقت. حث أن الناس بدأوا بالقراءة و الكتابة بشكل كامل و الحال أن الأوروبيون لا يقدرّون ذلك. بحيث كانت تنافس عاصمة الأندلس (القرطبة) بغداد و هي عاصمة الخلافة العباسية و كذلك والقُسطنطينيّة عاصمة الإمبراطوريّة البيزنطيّة.

ثانياً: من أشهر علمائهم يمكن الإشارة الى بعض الشخصيات في علم الفلك كإبراهيم بن يحيى الزرقالي و في علم المثلثات مثل جابر بن أفلاح و في علم الصيدلة مثل ابن زهر و في الجراحة أبو القاسم الزهراوي. ثالثاً: تم إنتشار المكتبات المختلفة و اشتهرت و توسعت الكتب في البلدان و المناطق المختلفة في العالم و كثر المؤلفون و التأليف كما انتشرت المراكز التعليمية في أغلب مناطق الأندلس بشكل عام و بعض المدن المهمة كطليطلة و إشبيلية و قرطبة يشكل خاص. رابعاً: كانت تجذب الحلقات و المراكز التعليمية الطلاب المسيحيين و المسلمين بشكل سواء و تم تعليم اللغة العربية للأوروبيين تحصيلاً للعلوم العربية.

المصادر والمراجع

-القران الكريم

-المصادر

١. ابن الفريسي، احمد.(د.ت). تاريخ علماء الأندلس. بيروت دار مكتبة الحياة.
٢. ابن أبي اصبيعة، موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي.(د.ت).عيون الانباء في طبقات الأطباء. بيروت:دار مكتبة الحيات.
٣. ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني.(١٢٨٦ هـ). المؤنس في أخبار افريقية وتونس. تونس: كطبعة الدولة التونسية.
٤. ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن أبي القضاعي.(٩٩٥م). التكملة لكتاب الصلة.بيروت: دار الفكر.
٥. ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر.(٩٦٧م). نثير فرائد الجمان تح رضوان الداية. بيروت:دار الثقافة.
٦. ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد السليمانى.(٩٧٤م). الإحاطة في أخبار غرناطة. القاهرة: الشركة المصرية.
٧. ابن بشكوال، ابو القاسم خلف بن عبد الملك.(٩٦٦م). الصلة. القاهرة: الدار المصرية.
٨. ابن جليل، اصغر.(١٤٢٣ق). طبقات الأطباء والحكماء. بيروت: دارالكلم.
٩. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ.(٣٥٤هـ). السيرة النبوية وأخبار الخلفاء. بيروت: الكتب الثقافية.
١٠. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر.(٨٥٢ هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة.
١١. ابن حزم الاندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد.(٤٥٦هـ)، طوق الحمامة. القاهرة:مكتبة الخانجي.
١٢. ابن خلدون، عبد الرحمن.(٢٠٠٤م). المقدمة. مصر: دار يعرب.
١٣. ابن عبد ربه.(١٤٠٤هـ). العقد الفريد. بيروت: دار الكتب العلمية.
١٤. ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد.(١٩٨٣ م).البيان المغرب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. بيروت لبنان:دار الثقافة.
١٥. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر.(٨٥٢ هـ). لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.بيروت: دار البشائر الإسلامية.
١٦. ابو الحسن الاشعري، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن.(٣٢٤هـ). مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
١٧. ابو الفداء، اسماعيل بن علي.(٢٠٠٧م). تقويم البلدان. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

١٨. الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. (١٩٨٩م). *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*. بيروت: عالم الكتب.
١٩. اصبهاني، احسان عباس. (٢٠٠٤م). *تاريخ الأدب الأندلسي*. بيروت: دار صادر.
٢٠. اغناطيوس يوليانوفتش. (١٩٦٣م). *تاريخ الادب الجغرافي العربي*. القاهرة: دار الثقافة.
٢١. أمين، أحمد. (٢٠١٢م). *ظهر الإسلام*. القاهرة: مؤسسة هنداوي.
٢٢. البغدادي، عبد القاهر. (٤٢٩هـ). *الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية*. بيروت: دار الآفاق الجديدة.
٢٣. جس، كولان. (د.ت). *الأندلس لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية*. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
٢٤. حسن، ابراهيم حسن. (١٩٣٣). *تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي*. مصر: دار الجبل.
٢٥. الحسني، السيد هاشم معروف. (١٣٩٨هـ). *دراسات في الحديث والمحدثين*. بيروت: دار المعارف.
٢٦. الحموي، ياقوت بن عبد الله. (١٣٩٩ق). *معجم البلدان*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٢٧. الحميدي، محمد بن فتوح. (١٤٢٣ق). *جذوة المقتبس*. بيروت: دار ابن حزم.
٢٨. الحميري، محمد بن عبد المنعم. (١٩٨٤). *الروض المعطار في خبر الأقطار*. بيروت: دار الفكر.
٢٩. خوليان، روبرا. (١٩٨٤م). *التربية الإسلامية في الأندلس أصولها الشرقية وتأثيراتها الغربية*. مصر: دار المعارف.
٣٠. الذهبي، شمس الدين. (١٩٩٣). *تذكرة الحفاظ، سير أعلام النبلاء*. بيروت: مؤسسة الرسالة.
٣١. الرازي، فخر الدين. (١٩٩٨). *الشجرة المباركة الزكية في أنساب الطالبية*. قم: مطبعة الكيمياء.
٣٢. روبرا، خوليان. (د.ت). *التربية الإسلامية في الأندلس*. القاهرة: الدار المصرية.
٣٣. رفاعي، أحمد فريد. (١٩٧٠م). *عصر المأمون*. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة.
٣٤. الري شهري، محمد. (١٣٧٥هـ). *ميزان الحكمة*. قم: دار الحديث للطباعة و النشر والتوزيع.
٣٥. الرازي، فخر الدين. (٢٠٠٠). *التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب*. بيروت: دار الكتب العلمية.
٣٦. الزبيدي، محب الدين. (١٩٩٤). *تاج العروس من جواهر القاموس*. بيروت: دار الفكر.
٣٧. الريشهري، محمد. (١٣٧٥ش). *أهل البيت في الكتاب والسنة*. قم: دار الحديث.
٣٨. الزبيدي، مرتضي. (١٩٩٤م). *طبقات النحويين واللغويين*. بيروت: دار الفكر.
٣٩. الزحيلي، وهبة ابن مصطفى. (٢٠٠٣). *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*. دمشق: دار الفكر.
٤٠. الزرباطي، حسين الحسيني. (١٩٨٤). *الجريدة في أصول أنساب العلويين*. بيروت: دار الفكر.
٤١. الزركلي، خير الدين. (١٩٨٠). *الأعلام*. بيروت: دار العلم للملايين.
٤٢. الزربجاوي، عادل زامل عبدالحسين. (٢٠١٠م). *قواعد علم الحديث عند أئمة أهل البيت عليهم السلام*. العراق: جامعة الكوفة

٤٣. السباعي، مصطفى. (٢٠٠١م). *روائع الحضارة الإسلامية*. عمان: دار الوراق.
٤٤. الزمخشري، أبو قاسم محمود بن عمر. (٢٠٠١). *الكاشف عن غوامض التنزيل*. بيروت: الناشر دار الكتاب العربي.
٤٥. طقوش، محمد سهيل. (٢٠١١م). *التاريخ الإسلامي الوجيز*. بيروت: دار النفائس.
٤٦. زيد بن علي، الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب. (د.ت). *مسند زيد*. بيروت: دار الكتب العلمية.
٤٧. السباعي، مصطفى. (٢٠٠١م). *المرأة بين الفقه والقانون*. عمان: دار الوراق.
٤٨. السبحاني، جعفر. (١٩٨٩م). *الإلهيات*. بيروت: الدار الإسلامية.
٤٩. السرجاني، راغب. (١٠٦١ق). *قصة الإسلام عهد الولاة*. القاهرة: الدار المصرية.
٥٠. الطوسي، محمد بن الحسن. (١٤١٧هـ). *العدة في أصول الفقه*. قم: دارالكتاب.
٥١. شاكر، محمود. (٢٠٠٤م). *أعلام الهداية*. مصر: مؤسسة التاريخ العربي.
٥٢. الشاكري، حسين. (١٤١٩هـ). *موسوعة المصطفى والعترة*. قم: دار الهجرة.
٥٣. الشكعة، مصطفى. (د.ت). *الأدب الأندلسي*. بيروت: دارالكلم.
٥٤. شكيب، أرسلان. (د.ت). *الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية*. بيروت: دار مكتبة الحياة.
٥٥. شلي، احمد. (١٩٨٢م). *التربية الإسلامية نظمها وفلسفتها*. مصر: القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
٥٦. السبحاني، جعفر. (١٩٩٣). *سيرة الأئمة الاثني عشر*. قم: مطبعة قم.
٥٧. الضبي، سيف بن عمر. (د.ت). *بغية الملتبس*. بيروت: دار النفائس.
٥٨. طارق، أشقر (٢٠٣ق). *دعوة لاستلهاام إنجازات الحضارة*. قم: دارالنور.
٥٩. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن زيد. (١٩٧٥م). *المعجم الكبير*. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.
٦٠. الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري. (٩٩٤م). *سراج الملوك تح شوقي ضيف*. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
٦١. شلي، احمد. (١٩٨٢م). *موسوعة التاريخ الاسلامي*. مصر: القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
٦٢. الضبي، سيف بن عمر. (د.ت). *الفتنة ووقعة الجمل*. بيروت: دار النفائس.
٦٣. طقوش، محمد سهيل. (٢٠١١م). *تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية*. بيروت: دار النفائس.
٦٤. الطوسي، محمد. (د.ت). *الاقتصادي الهادي إلى طريق الرشاد*. طهران: منشورات مكتبة جامع جهلستون.
٦٥. «_____». (١٤١٢ق). *حمزة، الثاقب في المناقب*. قم: مؤسسة أنصاريان.
٦٦. عاملي، جعفر مرتضى. (١٩٨٦م). *الحياة السياسية للإمام الرضا دراسة تحليلية*. بيروت: دار الأضواء.
٦٧. العاملي، محمد أحمد الشامي. (٢٠٠٢م). *مجريات الإمام الصادق في القرآن والدعاء والطب والكرامات*. بغداد: دار

٦٨. طقوش، محمد سهيل. (٢٠١١م). تاريخ المسلمين في الأندلس السياسية. بيروت: دار النفائس.
٦٩. العسقلاني، احمد بن حجر. (د.ت). المطالب العالية. الرياض: دار الغيث.
٧٠. علي، جواد. (١٩٣١م). تاريخ العرب قبل الإسلام. بغداد: مطبعة النقيض.
٧١. عنان، محمد عبد الله. (٩٩٧م). الآثار الباقية في أسبانيا والبرتغال. القاهرة: مكتبة الخانجي.
٧٢. غرسيا غومس. (٩٥٦م). الشعر الأندلسي. القاهرة: الدار المصرية.
٧٣. الغساني، الملك. (٨٠٣هـ). المسجد المسبوك والجوهر المحكوم في طبقات الخلفاء والملوك. بيروت: دار التراث.
٧٤. فراج، عز الدين. (٩٧٨م). فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية. بيروت: دار الفكر العربي.
٧٥. الفضلي، عبد الهادي. (١٤٣٠هـ). اصول الحديث. بيروت: مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع.
٧٦. الطوسي، محمد بن الحسن. (١٤٣٠هـ). التبيان في تفسير القرآن. قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.
٧٧. القرطبي، أبو العباس أحمد بن إبراهيم القرطبي الانصاري. (د.ت). أخبار بلاد الأندلس. بيروت: دار الكتب الوقفية.
٧٨. الفضلي، عبد الهادي. (د.ت). المذهب الامامي. بيروت: مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع.
٧٩. الفوال، صلاح مصطفى. (١٩٨٢هـ). منهجية العلوم الاجتماعية. بيروت: دار عالم الكتب.
٨٠. القرشي، باقر شريف. (١٥٤٦م). حياة الامام الحسين. النجف: مطبعة الاداب.
٨١. القرطبي، ابي عبد الله محمد بن احمد. (٢٠٠٦م). الجامع لاحكام القرآن. بيروت: مؤسسة الرسالة.
٨٢. القزويني، لطيف. (١٩٧٥م). رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ. قم: مؤسسة تحقيقات ونشر معارف اهل البيت.
٨٣. كاشف الغطاء، محمد حسين. (١٥٦٦م) اصل الشيعة. قم: مؤسسة الامام علي (ع).
٨٤. كريم، أكرم. (٢٠٢١م). دلائل الأثر في المهدي المنتظر مباحث في قطعية وجود المهدي الموعود. لندن
٨٥. كشميري، محمد حسن. (٢٠٠٦م). مع الصادقين، بيروت: دار جواد الأئمة.
٨٦. الكليني، ابي جعفر محمد. (د.ت). الكافي. طهران: دار الكتب الإسلامية.
٨٧. القرطبي، ابي العباس احمد بن عمر. (د.ت). لمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم. لبنان: دار ابن كثير.
٨٨. الربيعي، حسن. (٢٠١٢م). مناظرات الإمام الرضا عليه السلام في الرد على اليهود والنصارى، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية. بغداد: جامعة الكوفة.
٨٩. الليثي، سميرة. (د.ت). جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول. بيروت: دار الجيل.
٩٠. المازنداني، مولي محمد صالح. (٢٠٠٠م). شرح أصول الكافي. بيروت: جدار إحياء التراث العربي
٩١. متز، آدم. (١٩٩٧م). الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري. بيروت: دار الملايين.
٩٢. المجلسي، محمد باقر. (١٤٠٣هـ). بحار الأنوار الجامعة الدرر اخبار ائمه الأطهار. بيروت: مؤسسة الوفاء.

٩٣. محمد جواد، البلاغي. (١٤٢٨هـ). الرحلة المدرسية. قم: مركز العلوم والثقافة الإسلامية.
٩٤. المدرسي، محمد تقي. (١٩٩٣). النبي وأهل بيته قدوة وأسوة. قم: دار الكلمة الطيبة.
٩٥. مدير، كاظم. (١٤١٧هـ). الحكم من كلام الإمام أمير المؤمنين علي (ع). مشهد: مؤسسة الطبع والنشر.
٩٦. مرتضى، جعفر. (١٩٧٨م). حياة الإمام الرضا. مشهد: دار التبليغ الإسلامي.
٩٧. المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله. (١٩٩٠). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم مصر: مطبعة بريل.
٩٨. المقرئ، أحمد بن علي بن عبد القادر. (١٤١٨هـ). المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. بيروت: الكتب العلمية.
٩٩. المنوني، محمد. (١٧٩٩م). التاريخ الأندلسي من خلال النصوص. المغرب: الدار البيضاء.
١٠٠. هيكل، محمد حسين. (١٩٣٥م). الأدب الأندلسي. القاهرة: دار المعارف.
١٠١. ياسر، تاج الدين (٢٠٥ق) تعريف الحضارة وأسسها في الإسلام. قم: دارالنور

Abstract

The chain of history of Islamic civilization extended during the era of the three caliphs and after that came the Umayyads who established civilizations rooted in the principles and values of Islam. Science and its different types and it was a scientific civilization born as well as the urban development that characterized the Islamic civilization which was famous for urban creativity and fine Islamic building arts especially during the era of the Umayyads. Andalusia was part of that Islamic civilization as the Islamic civilization achieved a rapid prosperity in Andalusia and several factors supported this including the early political independence that Andalusia gained forty years after the Arab conquest so Andalusia was earlier than all other countries of the Islamic state in feeling a national feeling. As a result of this political independence the importance of this independence lies in the fact that it enabled the Umayyad princes in Andalusia to organize their government and manage the country in a limited area that they did not exceed and in a manner that took into account the special circumstances of their people. Based on the foregoing in this letter we answer this main question which is : What is the scientific role of Andalusian scholars in the flourishing of Islamic civilization during the Umayyad period ? The analytical descriptive approach was used in reviewing historical sources and among the most important results obtained is that : The Umayyad state in Andalusia was distinguished by its military commercial cultural moral and urban prosperity especially during the era of Abd al-Rahman ibn al-Hakam. In Andalusia there is a renaissance in the sciences in which Andalusian scholars of different religions and ethnic backgrounds contributed to it and the renaissance of public education so the general public excelled in reading and writing at a time when the European nobles could not do so which made it especially its capital Cordoba to compete with Baghdad the capital of the Abbasid state and Constantinople the capital The Byzantine Empire and among the most prominent things in which it competed with its scientists were : Ibrahim bin Yahya Al-Zarqali in astronomy Jabir bin Aflah in trigonometry Abu Al-Qasim Al-Zahrawi in surgery Ibn Zuhri in pharmacy and others. Libraries also spread and became famous books circulated throughout the country and authors and authors abounded. The Umayyad Caliph Al-Hakam II was a collector of books and he used to send envoys to Damascus Cairo Aleppo Baghdad and other cities to buy books at high prices until he was able to collect about 400 thousand volumes for his library and the episodes spread. Education in most of the mosques of Andalusia especially in the major cities such as Cordoba Toledo and Seville and educational circles in a number of mosques attracted Muslim and Christian students alike and Europeans learned the Arabic language during the Umayyad era to acquire Arabic sciences.

Keywords : Andalusian scholars the Umayyad state Islamic civilization Andalusia.



University of Religions and Denominations

Faculty of History

MA Thesis

Major: Islamic History

**Investigating the scientific role of Andalusian
scholars in the flourishing of Islamic civilization
(the Umayyad period)**

Student

Ali Saadoun Hamid Al-Saadi

Supervisor

Dr. Mohammad Reza Shahidi Pak

May ۲۰۲۳